أعراس ومآتم

« مجموعة مقالات كتبت فى
أوقات مختلفة ونشر بعضها
بجريدة الحضارة »

المرحوم الأمين على المدنى

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

الاهداء

إلى اخوانى ...

إلى الحب والاخلاص والأمل

إلى الرابطة التى تربط بعضنا بعضا

أقدم هذه التذكارات م؟

الأمين

بسم الله الرحمن الرحيم

« مقدمة كتاب اعراس ومآتم »

عام مضى وعبراتنا تفيض حزنا وقلوبنا تذيبها الحسرات كلما مر ذكر الأمين أو تمثل شبحه إلى اعيننا أو كلما ذكر كتابه « مآتم واعراس » الكتاب الموضوع بين يديك أيها القارىء الكريم — ولكل جرح مرهم يضمده إلا الحزن على صديق عزيز مات فانه يأبى الاندمال وتقل فى جانبه كل تعزية ومواساة . فالمرحوم الأمين علي المدنى عبر نهر الحياة طاهر الذيل تاركا ورائه ذكرى خالدة لا تبيد وسيبقى حيا ما بقى هذا المؤلف الجليل وما بقى الوفاء . فالكتاب أحيا الله به الروح الاجتماعيـة وأكثر من أمثاله كتاب خير وإصلاح . يدرك قيمته كل محيط بتاريخه وتاريخ الفترة التى جاء فيها . والوسط وروحه وما يحيط بنا من مؤثرات. فقد كتبه كاتبه بروح الاخلاص للوطن وبعداد الشعور بالواجب وقد شاء القدر المحتوم أن تكون آخر ساعة من ساعات حياة المؤلف هى اللحظة التى يسطر فيها آخر كلمة من كلمات هذا الكتاب . فأتمه وأضجع ضجعته الاخيرة مأسوفا عليه من أصدقائه وعشيرته ومعارفه والسامعين بفضله ودفع الوفاء فريق من أصدقائه الى طبع هذا الكتاب وإخراجه للناس

إعترافاً بفضل الفقيد وجميل معشره . واحياء لذكراه العطرة . ومساعدة مادية تجيء من قيمة الكتاب المادية لمستحقيها

فالكتاب خير . وخير مافيه أساس فكرة تأليفه . وخير مافي الفكرة روح طاهرة تسمى لمصلحتنا الاجتماعية أمدها قلب ممتلئ أملا وعزماوإرادة . وخير مافيه من خير . أنه أول كتاب تناول الاجتماعيات في هذا البلد العزيز بالنقد . وأبان بعض مواضع ضعفنا وانه أول عمل اجتماعي هادئ أبرزته جماعة منا في هدوء وسكون ومحبة . وانني لأقدمه اليك أيها القارئ العزيز وأرجو أن يكون كشعلة من نار هدى وسلام . يسري مهيبا إلى الأفئدة السودانية فيحركها لتخرج لنا ماهو خير منه مادام المرحوم لها حجر الزاوية في تشييد مجتمعنا السوداني . وقد كان الأمين قدوة صالحة لنا ولا بد أن يكون كتابه قدوة صالحة والبلاد بانبائهاويد الله مع الجماعة

المخلص

سليمان كشه

أم درمان ٣٠ يوليو سنة ١٩٢٧



ترجمتي

أيها القارئ

إني أكتب اليك ترجمتي بنفسي وان كان ذلك خروجا عن المألوف والمتعارف، لأني أعرف بنفسي من أصدقائي الكثيرين الذين يعرفون حياتي وفي استطاعتهم أن يقوموا بهذه المهمة. ولكن أصدقائي وهم أصدقائي ربما أعطوني مالا أستحق. ومنعتهم الصداقة من ذكر أشياء مما يكرهون، ولذا لا أريد أن أجعلهم مرمى لسهام القول: —

أوجدتني الطبيعة في صحراء الحياة. تتقاذفني الرياح والعواصف والدهر من مسلك وعر الى طريق محفوف بالأخطار، مالقيت غير الشقاء الذي طال عهده وما عرفت غير الآلام صحبتي منذ نعومة أظفاري ولكني لا أريد أن أستبدل شقائي بنعيم للناس. ولا دموعي بابتساماتهم، وكنت ولا أزال فقيراً لا أملك من هذه الأرض الواسعة شبراً ولا من المال (قرشاً) وليس لي في الكون زوج ولا ولد، ولست آمل والحمد لله أن يكون لي شيء من ذلك بعد.

تعلمت في المدرسة التي تعلم فيها كثير من أخواني، فكنت أقلهم في كل شيء، تعلمت ولكن ماذا تعلمت؟ تعلمت مبادئ القراءة والكتابة وخرجت من المدرسة معلما أعلم مبادئ القراءة والكتابة، فأنا اليوم أزاول مهنة التدريس التي اكتسب بها مرتبا. أعيش به كفافا وأقل ولكني أقوم بعملي لا كالاجير بل أؤديه كواجب من الواجبات لا خوفا

من سطوة رئيس أو متسيطر . فانى أعمل تحت مراقبة ضميرى المهيمن على عواطفى

اليوم أنا في الرابعة والعشرين من عمرى ، أعانى ..أعانى وأ كابد ..أ كابد . آلام كادت أن تقضى على حياه آمالى ، فى الرابعة والعشرين من عمرى ، رأيتنى شاعراً مجنونا ! . ، وقالوا ذاك الشاعر المجنون .... أجل : لقد اعترفت بجنونى ونشرتها بجريدة الحضارة عدد ...

تحت عنوان — :

« الشاعر المجنون »

أنا شاعر ، والشعراء قليل فى نظرى . كثير فى عرفهم أنا صادق فيما أدعى وهم غير كاذبين

أنا شاعر أطير باجنحتى الأثيرية فى الفضاء. محلقا فى سماء الحرية مترنما بأناشيد الوقت منصرفة اذنى عن أغنيـة الماضى وعن ألحان المستقبل فانا شاعر الساعة

أنا شاعر بلا قيد ولا شرط ، لاأعرف الوزن ولا أجيد القافية ولا أستطيع أن أحرق عواطفى بخوراً أمام عظمـة الامراء وأبهة الأغنياء وتيه الوجهاء

أنا شاعر مجنون !

والشعر مظهر من مظاهر النفس . وأنا مجنون . فشعرى جبار مع الليل ثائر مع العواصف الهوجاء ظالم مع البحار قاسى مع الموت . أنا الشاعر المجنون !

وهم الشعراء العقلاء !

لأنى أطير بأجنحة غير أجنحتهم وأحلق فى فضاء غير فضائهم وابتسم وهم يبكون . وأبكى حيث هم يرقصون ويعزفون . والبس السواد فى أعراسهم وأقيم المآتم فى أفراحهم

هم الشعراء العقلاء الذين اذا عزفوا على أوتار شعورهم ارقصوا العقلاء واستمالوا قلوب العقلاء ، أولئك هم الشعراء حقا يشعرون على مبدأ « أعذب الشعر أكذبه »

هم الشعراء الذين يعطرون تلك الاندية بعطر عواطفهم الذائبة المستعارة ! !

أنا شاعر مجنون ... !

اسكب ذوب شعورى أمام ابتسامة الزهور ونضارة الورورد وغناء الطيور على ضفاف الجداول ، فأغنى صوتا يطرب المجانين ويرقص المجانين ويستميل قلوب المجانين

كلانا شاعر

اعترف بذلك جداً وزيادة وادين بانهم (شعراء) ينظمون الشعر المقيد بالوزن والقافية ، فهم الشعراء المقيدون أوامر الشعراء العقلاء

وأنا الشاعر الحر . أو الشاعر المجنون ....

أسيدتى لا الدهر يسعد مطلبي　　ولاأنت انى حرت بينكما جدا

هذى هى الجنون فى نظر شعرائنا العقلاء

يقولون من أساطير الأولين : —

ان رئيسا من الرؤساء رأى فى نومه أن من شرب من البئر غداً اصيب بالجنون ، فما طلع الشمس الا وتهافت الناس على البئر كعادتهم . فشربوا . فجنت القرية إلا رئيسها . وبعد قليل رأوا أن حركات الرئيس لم تكن كحركاتهم ولا نظراته كنظراتهم . فتظاهرت تلك الفئة المجنونة أمام داره وقالوا لقد جن الرئيس فليسقط ...

ونحن لاندرى ما اذ كان من أمر الرئيس بعد ، هل شرب من الماء فجن أم احتفظ بعقله واعتزل الرئاسة ؟

فنحن وتلك الطبقة العاقلة المحافظة على القديم ، كذلك الرئيس وهاتيك القرية فليقولوا ماشاءوا وليتخذوا الماضى أباً وليلبسوا من تقاليده ما أرادوا ما ؟

الاصمعي



تعليم المرأة السودانية (١)

« دعوها »

الى صديقي : ! دعوها دعوها

انا لا افول دعوها الى الابد او دعوها راقصة مغنية . ولكن اذا كسد سوق « العديل والزين » وبارت بضاعة (السيرو) وبليت ثياب « انايا الفُلّه » فهناك اذكروها وهناك اطلبوا لها التعليم (فنحارب الرقص والسيرة لا الغُنا)

انتم فريقان متباينان متفقان ، فريق يطلب تعليمها والآخر لا يريد ذلك (والواقع) ان الفريقين لا يريدان تعليمها فانتم متفقون

هنا يكتب فى تعليم المرأة السودانية وهناك هو نصير العادات التى تحول بيننا وبين تعليمها

فانى اقول لك الحقيقة ياسيدى القارئ ولا مؤاخذة ، انت ظالم جاهل ومستبد ايضا

هاهى كتيبة من الجنس اللطيف تتأهب لزفافك وانت تكتب فى تعليم المرأة ، ولكن بعد هنيهة ستضع القلم وتقوم الهن حيث تجاس على سرير العرس وحولك ما حولك ترى (البنين) مع البنات وان لم تكن انت العريس فانت احد اعضاء حفلة تتويج العريس

(١) نشرت بجرة الحضاره عدد ٢٨٠٠٠٠٠ /٦/ ١٩٢٤

فاذا فكرت مدة وجيزة ياسيدى سواء كنت الاول ام الثانى لطأطأت رأسك خجلا وقمت من مكانك مسرعا ومزقت ما كتبت وحرقته بخورا امام عرش المرأة واذا نظرت الى يدك لابسة سوارها . والى عنقك ووجدت عقدها ، او فى الموقف الثانى ورأيت أنت وهن فى مستوى واحد لهتفت قائلا :—

فليسقط العريس ولتسقط الاعضاء وليحيا الجنس اللطيف المظلوم

*
* *

انت ياصديق : تكتب بحماس فى تعليم المرأة السودانية وتحتج على الآباء طالبا تعليمها وتضرب عن الزواج لجهلها

وانت ترى تعليمها لا يكون الا بالسفور وانت من أعداء السفور ومن انصار التعليم كما تقوله ، ولكن انت فى نظرى عدو الاول ونصير الثانى

انظر وحقك الى المرأة وهى فى مجتمع العرس او المأتم ، هناك ترى السفور الشنيع وترى التبرج الذى تأباه النفس

فاذا رضيت منها ذلك ياصديقى فحطم قلمك ومزق قرطاسك ولا تكتب فى تعليمها مرة ثانيه (والاحسن) دعوها دعوها

انا لا اقول دعوها لان مواهبها الفكرية لا تؤهلها للتعليم المطلوب ولا لانها أقل استعدادا من اختها في الامم الاخرى . ولا اقول دعوها (نادبة) او امرأة سودانيه على طراز القرون الماضية ولكن دعوها الى الوقت الذى يمكن فيه تعليم المرأة السودانية

اما الوقت ياصديقى فليس بعيدا ما دمت ترى تعليمها من الواجب ويجب عليك قبل كل شئ ان لا تكتب فى تعليمها الا اذا وضعت كل العادات المانعة لتعليمها تحت قدميك وسحقتها سحقا غير ملتفت الى ما سحقته أجمرا كان ام ثلجاً ، فالوقت الذى تزول فيه العادات القديمة التى تشاهدها فى الاعراس والمآتم وغيرها هو الوقت الذى يمكن فيه تعليم المرأة السودانية وبعد ذلك اكتب ياصديقى واطلب تعليمها تجد المرأة بطبعها تعينك على التعليم وانا أضم صوتى الى صوتك واضرب معك على طنبور واحد . . . وهناك مسألة السفور

انى اجلك كثيرا ياصديقى من ان تعتقد ان التعليم والسفور يذهبان بالمرأة الخ . . . !؟

او تظن ان التعليم مقرون بالسفور وهما صديقان لا يفترقان ورفيقان متلازمان

انا لا اود ان ارى المرأة سافرة امام الدكاكين ومراسح التمثيل ولكن اقول : —

دعوها دعوها

انا لا اقول دعوها سجينة بين جدران المنازل ومقيدة بقيود الاسترقاق من مهدها الى لحدها . ولكن

دعوها دعوها الى الوقت الذى نحتاج فيه الى سفور المرأة الى الوقت الذى لا نرى فيه غضاضه على المرأة اذا طالبت بحق

ياصديقى ليس التعليم والسفور هما اللذان يذهبان بالمرأة الى مواضع

الدعارة والفجور . ولـكن نحن نذهب بها من حيث ندرى ولا ندرى. وانك ستكون معى اذا قلت لك : —

العفاف صفة يشترك فيها الرجل والمرأة على السواء فاذا حافظ الرجل على هذه الصفة فعفاف المرأة لا يتهدده شيء ولا يخشى عليه ، لان الحياء الذى منحته المرأة يكون لها مانعا قويا من ارتكاب الجرائم التى تدنس شرفها .

اذ استطعت ياصديقى ان تعلم المرأة السودانية فلا تفزع من السفور ولا تملأ قلبك رعبا وخوفا منه واذا رأيت المرأة واقفة بجانبك كتفاً لكتف تباحثك فى آرائك فبشر الابناء بالمستقبل

الراقصة . . .

المرأة التى رأيتها بالامس واقفة فى مرسح الرقص والغناء هى جميلة جميلة !

يعبث جمالها الفتان بعقول الناس وشعورهم

هناك . فى ذاك المرسح . رأيت الجمال وسطوته . ورأيت القلوب تحترق بخورا امام عرشه المقدس . والعواطف تذوب تحت قدميه . عندما (وقفت شيء عجيب فى الدارة واسفرت اللثام عن داره)

اجل : فى هذا الموقف تحترق القلوب وتصيرهيا كلا لقلوب البشر المائتة!!

فى هذا الموقف تذوب العواطف الى حد الجمود فتصبح تمثالا لعواطف الناس الجامدة !!

فى هذا الموقف ينتعش الشعور الى حد الجنون ويبقى شبحاً لشعور

قد انقرض :: ولـكن اذا بدا الفجر واصبح ذاك المرسح مسكنا وفتحت نوافذه تأتى الرياح وتجرف تلك الهياكل والتماثيل والاشباح الى الخارج الى اشعة الشمس فتصير هباءً تذروو الرياح !!

خرجت من المرسح خوفا على قلبي من ذاك المصير . ولا زال الجمال الراقص الخليع . الجمال السافر المتبرج . يعمل فى عواطفى . حتى قابلت تلك الحسناء مرة ثانية فى غير المرسح ، فاردت ان أقف لأرى جمالها ، جمالها الوديع . وحسنها المحتجب . غير انها سرعان ما فرت من أمامى مختبئة ، فوقفت حائرا !! حائرا فى أمرى وامرها ألم اكن انا رجل الامس الذى وقفت فيه امامى راقصة بدون مبالاة ؟!

الم تكن هى امرأة الأمس التى وقفت سافرة امامى وامام غيرى ؟!

نعم : - هى هى . ولا لوم عليها . ونحن نحن . اولئك . والتبعة علينا والجريمة منا .

فلا أخذها على تلك الجريرة على وقوفها فى المرسح ، فنحن أخذنا منها ذاك الثوب . ثوب الحياء والخجل . ووضعناه فى مستوع عاداتنا (المحترمة المقدسة) التى يجب ان نخضع لها !!

القمر

فى وجهك الزاهى لنا خير . . .

فى اشعتك الفضية سلوة البؤساء . وانيس كل منفرد كئيب

تطل من سمائك فترانا وتراك ترى جمالك وبهاءك ، وترى فينا بأسماً

يئن من آلامه ، ومجرما يتربص لافتراس غيره . وسيدا يتسلط على عبده وعبدا يسخط على ايامه ودهره

* * *

احبك يامن حكيت وجه الحبيب الطاهر القلب الذى

عرفت هواه قبل أن اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فيك عشقت الجمال جمال الفضيلة . جمال الرفعة جمال المجد يامن بك يقاس جمال كل شيء

يا ايها القمر الرامى اشعته اقصر فديتك قد حركت اشجانى

ذكرتنى حبيبا كان لى قمرا فى غيبتك واحتجابك !

ذكرتنى الفضيلة التى درست معالمها او كادت !

ذكرتنى الحقيقة المتجلية باسمى مظاهرها !

ذكرتنى ايام السرور التى مضت كوميض البرق !

ذكرتنى ايام الشباب الغض . ذكرتنى كل حسن مضى واندرس !!

شهر رمضان (١)

اذا افلت شمس اليوم وانعكست اشعتها على القمر فرأيناه هلالا يكون غدا اول يوم من رمضان . فماذا اعددت له ايها القارىء الكريم؟

غدا يمضك الجوع وينهك قواك التعب .

فهل انت تبذل كل ما عندك من جهد لتجعل مائدتك ابدع من

---

(١) نشرت بجريدة الحضاره

ريش الطاووس ، غير ملتفت الي ماراد منك فى صيامك ؟

ام تمد يدك الملأى الي يد فارغة ممدودة اليك من وراء نقاب حاكه الحياء ونسجته عزة النفس .

لا يراها بصرك ممدوداً اليك بل يحس بها ضميرك ويشعر بها قلبك ان كانت فيه رحمة ، وتتألم نفسك لألم نفوس اكثر دهرها رمضان وجل ايامها صيام ، فتساعدهم بما اوتيت من رزق وسعة

إن كنت الاول .فانت مجرم فوق العادة ووحش فظ الطباع . سواء اتخذت من الحرير ثيابا او القصور ديارا

وان كنت الثانى فأنت انسان بمعناه . ورحمة من رحمة الله على عباده سواء افترشت العشب وتلحفت الفضاء . ان الدرهم الذى تمده الى فقير ادقعه الفقر . واللقمة التى تمدها الى جائع اضناه الجوع .والكلمة الطيبة التى تقولها الى حزين شفه الحزن . هى هى التى ترفعك من درجة الحيوانية الى مافوق الحيوان . وهى كل ما ينفعك غدا ، يوم تجد كل نفس ماعملت

غدا يكون رمضان !!!

فهل انت تقضى نهارك غيبة ونميمة وكذبا ورياء وضجرا وسآمة . غير مهتم بما يطلب منك فى صومك وفطرك ؟

أم انت تتأهب للقيام بواجبك حق القيام . محافظاً علي كل مايطلب منك نحو نفسك ودينك واهلك ؟؟

فان كنت الأول . فانت جبان احمق . سواء افترست الاسد . او نزلت ميادين الحروب . قطعت النهار جائعاً أو الليل واقفا

وان كنت الثاني . فأنت شجاع عاقل . سواء قضيت نهارك هادئاً أو ليلك نائماً

ان قساوة القلب . وفظاظة الطبع . والبخل والجبن . هي الحلقة النحاسية التي توصل بينك وبين درجة الحيوانية . وهي التي تورثك الندامة غدا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه - وكل عام وعيشك صفو

أيام الشباب (١)

وقفت أمس امام المرآة وهي كالبدر أو كغصن البان وبحه الصبا سكرى بخمرة الشباب

« فرأت النواظر الدعج والحواجب الزج والمباسم الفلج »

فابتسمت امام المرآة ابتسامة المعجب وذهبت تجر الذيل تيها ودلالا

رجعت اليوم ووقفت امام مرآتها وهي :

لم يدع منها البلى الا كما تترك السبعون من غض الشباب

لم تر الا شبحاً يلوح امام بشرها مرة ويختفي أخرى . فامعنت نظرها فرأت عيونا غائرة . وخدوداً متجعدة . رأت قرداً يتمعض غيظاً

قطبت ما بين عينيها وهمت بتحطيم المرآة ولكنها اكتفت بالسب على الصناعة في عصرها الحاضر الذي تغير فيه كل شيء حتى المرآة . . .

حنت الى عصرها الماضي . وبكت عليه وجداً وحزناً . كأنها ضارعة الى الدهر علّه يحنو عليها فيرجع لها ذاك العهد الذي مضى كوميض

---

(١) نشرت بجريدة الحضاره

البرق أو كابتسامة من ابتساماتها الماضية :

والدهر لا فلتات السعد يرجعها ولا يجدد ما يبلى من الناس

ما أنت واقف ذاك الموقف ياصديق . ولكنك ستقف امام مرآة هائلة صنعتها يد الدهر ، وضعتها فى باب هذا الكون . لتطبع عليها صورة كل خارج من حيث يدرى ولا يدرى لأخذها فى « فلم سينما » الحياة ليشرحها التاريخ فى المستقبل بشمة كانت أم جميلة . آثاما كانت أم حسنات وستعرض هذه الصور فى هذا المسرح الواسع المكتظ بكل الطبقات فاختر لنفسك صوراً تمثل عنك فى هذا الميدان

(١) خطرات محب (١)

اذكريني . . .

قد مرت الأيام والليالى طامسة أحلامى الجميلة ومسراتى وأفراحى تاركة لى آلاما جمة . وأحزانا شتى وكآبة قاسية مستمرة . لقد ذهبت أيام الشباب ولم يبق لي منها الا هذه الخطرات التى سطرتها قبل أن أنشد : —

فما أرتجى والاربعون تصرمت ولا عيش الا ينتهي حيث يبتدى

. . اذكريني !

قفى بجانب قبرى وقولى سلاما انى منه أطرب

نعم ان فى قبرى العناصر كلها سيمتص ما فيها النبات فتذهب

ولكن روحى فى السماء مقيمة تطل وفى نمائها تتقلب

---

(١) نشرت بجريدة الحضاره

ألا فاذكريني زينب كلما بدا لك النجم اني كنت النجم أصحب
وان قطفت كفاك زهراً فانشقى أريجا به ان الاريج هو الحب
ألا فاذكرى حيا تقسمه الثرى فأصبح زهرا. فانشقي الزهر زينب

اذكريني !!!

لقد طال ليلى ولست بنائم فاعلل النفس بالاحلام اللطيفة التى يشاهدها المجنون «ورب ذكرى قربت من نزحا »

اذكريني فأنا الذى أحمل جميع الأسهم من شركة البؤس والشقاء

اذكريني قبل أن القى المنون ، اذكريني وأنا على قيد الحياة وعلى سرير الموت . وعلى النعش ذاهبا الى قبرى . مودعا هذا العالم أجمع تاركا آما لاسوف القاها هناك . فاذكريني اذا مت . وقفى على قبرى وحييى تحية تهتز لها رفاتى ، صلي عليّ صلاة الحب والاخلاص . وابتسمى ابتسامة طويلة . ابتسامة عذبة . فرب ابتسامة منك تزيل تلك الوحشة

اذكريني اذا وقفت على قبرى . ولا تذرفي دمعة الحزن والأسف . ولا تلبسى ثياب الحداد وقولى : —

هنا دفن فتى كان ممثلا . يمثل أدوار الآلام في مراسح الحزن فسلام عليه فى الحياة وبعد الموت ؟

(٢) خطرات محب

البعاد ...

أومض البرق ، فياتلك الثغور قد بعدت اليوم عنى ، فالبروق

ذكرتنى العهد أيام السرور فابتسم يانغرها رغم البعاد
ياضياء الشمس يانور القمر خبرا صبا له قلب خفوق
يحتوى الآلام والبعد أمر أين ذاك البدر ، ما أقسى البعاد

* * *

يانجوم الأفق عنى خبرى عز صبرى ، طال فيكم سهرى
هذه الانجم تدرى خبرى كنت أشكو الصد . واليوم البعاد

ماأعذب تلك الابتسامة !!

الابتسامة التى ابتسمتها لى الايام بالأمس . ولكن ما أقصرها ، ذهبت كما يذهب البرق واستحالت الى تقطيب

وما أجمل تلك الساعة !

الساعة التى كنت أنظر فيها الى الحياة (بعين الرضا) وكل من لاقيت يشكو دهره ، الا أنا

لقد ذهبت تلك الساعة وتلاشى سرورها كما تتلاشى الصداقة المتكلفة ، فأصبحت ابتساماتى دموعا . ومسراتى أحزانا ، وكل من لاقيت يبتسم أمام الحياة . الا أنا . بعد ان كنت أرى كل دمع كاذب . وكل ألم متصنع . والحياة كلها أفراح ومسرات لدىّ . والايام ضاحكة . والدهر مبتسما أمامى

أجل : — هكذا كانت الحياة وهكذا أصبحت

الذكرى

واذكر أيام الحمى ثم انثنى على كبدى من خشية أن تصدعا

السعادة ذاهبة وأنت مقيمة
الشقاء مصيره للنفاد وأنت راسخه فى أعماق الفؤاد
أيتها الذكرى !!!
يتولى السرور كوميض البرق
ويذهب الحزن كقصف الرعد
وأنت أنت تمثلين هذا وذاك . ويدك ثابتة مكانها لاتعمل في تشويه الاول . ولاتهذيب الثانى . أنت تعرضين الصور كما كانت حقيقتها
أود أن أرى صور السرور من فانوسك السحرى أولا
أين زهرات السرور التى كانت تبتسم بالامس . أى ريح هبت عليها فأزالتها من مكانها ؟
أهى محتجبة عنى بالضباب والغيوم . وستظهر بعد مع أشعة الشمس ؟؟
أنا لاأرى في صورك هذه غير خيالات تمر سريعة كالسرور
ايتها الذكرى !!!
اعرضى علي السرور وابتسامته الجميلة . وعيونه السحرية . وألفاظه الخلابة .

النعيم يتلاشى كالظل الظليل
ولا يمكث الشقاء الا كالنظر الشذر الطويل
وانت باقية مادامت الحياة ايتها الذكرى
فوداعا أيها الماضى وداعا وكفى بك ايتها الذكرى رفيقاً تسكبين الحانك اذا اظلم الليل ولم اجد الا الوحدة والانفراد فيضطرب القلب

وتثور العواطف

تحية العام الهجرى (١) ١٣٤٣

حدثنا أيها الهلال . ان استطعت ان تتكلم وتبوح بأسرار هذا العام الجديد .

مالى أراك صامتاً لاتبدى حراكا ؟؟

أيا ضوء الهلال لطفت جداً　　كأنك فى فم الدنيا ابتسام

***

خبرنا . ولكن لاعن الأعصر الاولى . بل حدثنا عن حياتنا ودع عنك مآثر الآباء والاجداد . ولقد ذهب الاباء والاجداد الى الابدية . فهم الآن لايستطيعون أن يمدوا لنا يداً تساعدنا على آمالنا وأعمالنا

نحن لانريد ان نقف على انقاض مآثر الآباء والأجداد ، نذرف دمعة الحزن والأسف . ولا نود ان نبنى أبنيتهم التى اهملناها منذ مئات السنين ، فأصبحت اطلالا طالما وقفنا عليها ، فجرت دموعنا بين عرصاتها وتصاعدت زفراتنا بين ارجائها ولسوف تنهار من تلك الدموع وهاتيك الزفرات

هل بالطلول لسائل ردّ　　أم هل لها بتكلم عهد
درس الجديدُ جديد معهدها　　فكأنما هى ريْطة جُرْدُ

(١) « القيت بنادى خريجى مدارس السودان »

***

فى مثل هذا اليوم من كل سنة . يقف الشعراء لتحيتك . والخطباء لمقابلتك . وكلٌ فرح مستبشر بطلعتك .

أيها العام الجديد !!! وأنت أشعر الشعراء .وأخطب الخطباء . أنت بيت من بيوت قصيدة الحياة التى سمعنا منها آلاف البيوت ، وأنت سطر من سطور خطبه الدهر البليغة وأنت الآن حرف من حروف ذلك البيت وذاك الشطر

أيها العام الجديد !!

أى وتر أنت من أوتار عود الحياة ؟ هل أنت تلك النغمة الشجية التى تقود الانسان الى ميدان الجد والاجتهاد . وتحثه على العمل . وتورثه نشاطًا يقاوَمُ به ما يصادف من عقبات وصعاب ؟؟

أم أنت ذاك الصوت الذى يولد خمولا فى النفس وجبنا من « لاشىء » . ولكن :

لى فيك حين بدا سناك وأشرقا أملٌ سألت الله أن يتحققا

***

أيها العام !!

منذ قليل نفضت يدى من تراب قبر أخيك « العام الماضى » بعد أن سكبت على قبره صافيات الدموع . وابتسمت ابتسامة الطرب . لا حزنا عليه . ولا فرحاً بفراقه . بل تلك دمعة الفراق . وهذى ابتسامة اللقاء

أيها العام لقد مضى أخوك العام المنصرم . وبذهابه تقدمنا خطوة

من الخطوات ، التي كتب للانسان أن يقطعها مبتدئا من ميدان الحياة الواسع. ذاهباً الي ميدان الأبدية الفسيح . حيث تجد كل نفس ما عملت فكيف كانت خطواتنا

أهي خطوات تعد خطوات في الحياة . أم هي خطوات نحو الموت لاأثر لها في الحياة ، غير أثر يوشك أن يزول بهبوب الرياح

وفي الحديث : —

الدنيا مطية الآخرة .

اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً

***

في مثل هذا اليوم من كل سنة يتناول التاجر دفاتر حسابه. ويراجع ماله وما عليه . ليعلم ربحه أو خسارته وبضاعته البائرة والرائجة

فهل كان منا من يراجع دفتر أعماله ليرى ما اكتسب من عمل صالح وما جنى من سيئة . ويقيس هذا بذلك . أم ترانا تاركين أعمالنا الى الصدف والظروف . نسير في الحياة كحاطب ليل . والحياة قصيرة. والعمل طويل

أيها العام الجديد !

يا هلالا ، قد علا صوت البكاء فاستمع ، هل فيك للباكي عزاء

أنت في ذا اليوم رمز للعلاء في الاماني — حقق الله الرجاء

ان في ضوئك في هذا السناء نغمة الشعر ووحي الشعراء

ولتكنْ ياعام سعد اورشاد وليفضْ ضوؤك في هذي البلاد

ربما ينهض فيها من جاس يسكب الدمع على عز مضى

وتولى مثل نظرات خاس   او كبرق فى الدياجى أو مضى

***

ياهلال الخير ياعام ابتسم   طالما الدهر لنا قد قطبا
كم شربنا منه كاسات الألم   فانثنينا نشتلى حظاً كبا
ما أساء الدهر فينا ماظلم   نحن لم تقدم ولا الدهر ابا
ولتكن ياعام مجداً وسلاما   نحن لانشكوك . لانشكو الزمن
نحن أهملنا . صحبنا للكسل   فعلام الشكوى ؟ بل نشكو لمن ؟؟

***

انما المجد جهاد واجتهاد   وحياة الشعب حب واتحاد
ان لبسنا الأمس أثواب الحداد   وافترشنا الجمر مع شوك القتاد
وسكبنا الدمع . حالفنا السهاد   فهو الدهر . ضياء وسواد
ولكل أجل كتاب

فان ارتدينا بالأمس ذاك الثوب الخلِقْ . فعسى ان يكون العام ميمون الطالع فنرتدى غير تلك ، أثوابا من المجد نسجها الجد فى معامل الاجتهاد

وقد تورق الاغصان بعد ذبولها   ويبدو ضياء البدو فى ليلة الوهن

***

كلنا نحييك ايها العام الجديد آملين أن تكون عام خير وسلام واهلاً بك أيها العام . وسلام عليكم ايها الاخوان

واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداءاً فألف بين قلوبكم

فأصبحتم بنعمته إخوانا »

بيتان لأحد شعرائنا

لست أسعى لهوان أبداً   إن نفس الحر للضيم أبية
لاورى زندى ولا أورق عودى   إن ركبت الذل للعيش مطية

« أحمد افندى محمد صالح »

ماذا ترى فى هذين البيتين ياصديقنا القارئ :

ألا ترى نفسا وثابة ترفرف بأجنحة الاباء فوق هذا الفضاء لاتريد أن تهبط الا حيث تريد . حيث لاهوان ولا ذل ، نفس مانزلت الى ضيم وارادت أن ترحل منه ولا تجرعت كاسا من كاساته العلقمية ولا قعدت ساعة على . قاعده الشائكة ولم تخط خطوة فى طريقه المحفوف بالاحزان

نفس حر تصبو الى مافوق الحياة البسيطة المتواضعة والى أبعد من الحياة الاعتيادية المسكينة التى تدع الانسان يرجو أن يعيش فى الدنيا كفافا ويخرج منها لاله ولا عليه

إنك ترى فى هذين البيتين روحا عالية تترنم بقول المتنبى : —

ذل من يغبط الذليل لعيش   رب عيش أخف منه الحمام

ترى همة سامية ملء هذا الفضاء وأكبر من هذا الفضاء ، نفسا شريفة إن لم تجد ماتعشقه وتلاقى ماترجوه فهى تختار الموت لتذهب هنالك الى عالم غير هذا العالم لترى آمالها التى لم تتحقق بعد تاركة أثراً خالداً

وعظمة باقيـة ترددها الاجيال المقبلة وتنشد أناشيدها كل نفس طموحة قائلة : —

همتى همـة الملوك ونفس نفس حر ترى المـذلة كفرا

انك ترى في هذين البيتين شاعرا ملء نفسه عظمة ، شاعراً عرف الشعر هو (صناعة توليد العواطف بواسطة الكلام)

ترى شاعرا ناضج الشاعرية حقا وأسلوبا غير متحجر صلب رغم احتجاج الخليل بن احمد على هذا الشاعر

أنشودة كئيب

صوت القمـرية الشاديه على الغصون السكرى بخمرة النسيم فى السحر

وصوت البلبل المترنم بين الاودية والرياض المتمتع بابتسامات الزهر

صوتان يثيران الوجد ويجلبان السرور لكل قلب لا يعرف الكآبة

لكن هذا القلب الخافق له فى كل دقة من دقاته دمعة سائلة

قلب يخفق لنعيق الغراب لانه كئيب والكآبة تبعث الكآبة

ويضطرب لصوت البوم اضطرابا لانه أشبه بصوت الاطلال الصامتة المحزنة والحزن يثير الاحزان

ما أقسى الكآبة وما أشد تصرفها بالنفس !!

يامن تتحدثون عن جمال الفجر وجلاله وتطربون لمنظره هل لكم أن تعيروا نفسا من نفوسكم لنفس كئيبة ملقاة فى صحراء الحوادث تصارعها الرياح والزوابع والدهر لا ترى الفجر الا دمعة جارية أو زفرة متصاعدة

عليها ترى الفجر كما ترون

وأنتم يامن ترون فى الأقحوان ابتسامات الحسان وفى أغصان البان قدود الغيد هل لكم أن تهبونى وجدانا من وجدانكم الحى وشعورا من شعوركم الحساس على أرى الطبيعة كما ترون

وأنتم يا أرباب الغرام ويامن تهيمون على وجوهكم بعوامل الحب هل لكم أن ترحموا وتحنوا على نفس كئيبة تسيطرت عليها الكآبة فهى منزوية بعيدا فى نفسها تريد أن تعيش عيشكم اللذيذ ؟؟

هل لكم أن تمدوا لها قلبا من قلوبكم لتنعم بجنون الغرام قليلا ؟؟

الكآبة شبح هائل يحول بين النفس والمسرات تقف النفس أمامه هادئة خاشعة ساكنة

فأنتم يامن تمدون عصير عواطفكم لمن تريدون تخديره هل لكم أن تهبونى ضميراً من ضمائركم لأمده كأسا الي الكآبة فاحذرها تخديراً وتنصرف عنى بسلام ؟!

وان لم تفعلوا ذلك فبلغوا السرور السلام عن هذه النفس وجمال الطبيعة التحية وبلغوا الغيد عنها سلوة الغيد

أنائم أنت ....؟؟

الى ع . ع

« اذا أقامت حرب دموية بين الاحياء والاموات لانهزم الأحياء حتما ولكن قد مضى ليل الثورات الدموية وبدا الفجر والأموات

كالخفافيش لايظهرون الا ليلا وقد ذهب الليل منذ بدا الفجر . ... »

صح نومك ياصديق . . . . ! !

أنائم أنت الى الآن أم ظننت ان الليل باق وان نجومه شدت بامراس كتان الى صم جندل ؟

لا . قد بدا الفجر منذ حين وها هم الناس يسيرون في ضيائه ياصديقي ، أنت كالذى كان فى نوم عميق ! !

ألا تزعجك ضوضاء الناس وصراخهم فتهب من نومك ؟ !

قم وافتح نوافذ غرفتك المظلمة لترى عظمة هذا الفجر وجلاله ،

وكفى ان تطل من كوة حجرتك ان لم تستطع ان تخرج الآن من غرفتك الدافئة ثم لأحدثك عن آيات هذا الفجر :—

عند ما بدا الفجر ياصديقى أزال بيده أكل ما كتبته يد الليل وما خطته يد الماضى من أحلام وأوهام و . . .

لا تتأوه ياصديقى ولا تأسف « وكفكف دموعك ودع البكاء . . . . ؟ ؟ »

بدا الفجر فرأينا فى ضيائه كثيراً من الأشياء التى كنا نشاهد لمعانها فى الظلام فنظن انها أحجارا كريمة فاذا هى بهرجة خداعة وما كنا نعتقده بالأمس فى ظلام الليل عادة حسنة فاذا هو تقليد اعمى وما كنا نراه فى الظلام بناء ضخما فنظنه قصوراً شاهقة فاذا هو اطلال دارسة

فى ضياء الفجر ياصديقى علمنا ان تلك الأصوات التى كنا نسمعها

ليلا فنظنها زئير الاسود فاذا هى حفيف أجنحة الخفافيش التى لا تظهر الا ليلا

وقد ذهب الليل منذ بدا الفجر

نم هنيئا . . . ؟؟؟

الى ع . ع

قم يا صديقى ودع عنك ذكرى تلك الصور الجميلة التى كنت تشاهدها فى نومك . . . . لا تتلفت يمينا وشمالا فهى لم تكن مختبئة فى زوايا غرفتك ولكنها تلاشت مع ظلام الليل (وهذامصير الاحلام) قم واذهب فى ضياء الفجر الى الاودية والحقول لتسمع هناك الطيور تنشد ألحان الفجر وترتل أغانى الصباح

أأنت من أبناء الليل ، ان كنت من أولئك فنم هنيئا . . . ؟!

ياصديقى ان أردت أن تحدثنى عن أحاديث الليل وما يعتريك فى الليل ، وتقص على أقاصيص الماضى فحدثنى بها وستجدنى ان شاء الله صابرا ، وسأتثاءب في كل ثانيه

وان أردت أن تسمع حديث الفجر فقم من مضجعك وارتدى أى ثوب أردت

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

قم غير ملتفت لسماع تلك الالفاظ التى تمر كنغمات الموسيقى بأذنك :ـ

(حسن الهندام جدا جنتل خالص وقيافة أيضا وشيك زيادة

عن الملزوم)

اذهب فى ضياء الفجر الى (المعرض) الواقع بين المشرق والمغرب وهناك تعلم ان الرجال بأعمالها والمرء بنفسه وان الحياة ميدان واسع يتسابق فيه الناس على اختلاف طبقاتهم الصيد فى جوف الفرا ياصديقى

وتعلم ان لا ميزة لاحد دون الآخر الا يقدر ما يقوم به كل منهما من الاعمال النافعة

واعلم ياصديقى ان (قيافة) الثياب (ووضاءة) الجبين ورشاقة القوام ولين الكلام هى لا تفيدنا بشيء ولا تعود علينا بفائدة ولكن نحن فى حاجة الى رجل الى شجاعة أدبية الى مروءة لا الى نفوس خاملة لا تريد من الحياة أكثر من أن تعيش لتأكل قائلة (حياة وآخرها الموت) وقد غاب عنها ان الحياة هى من وراء الموت وسلام عليك ياذا الصديق

صوت الخليل ....

هديلك يثير الحزن ويحرك الوجد : أيتها القمرية

تغريدك بين الحقول والاودية يشجى النفس ويهز أوتار القلب : أيها البلبل

نغمات عودك تعمل فى العواطف ما تعمل وتعمل فى القلب فيضطرب اضطرابا : أيتها الحسناء

*
* *

ايتها القمرية دعى عنك الهديل فى السحر وتعالى معى لتسمعى

صوتا تحقرين لاجله صوتك وتسجدين لكل نغمة سجدة طويلة ، انك متى تسمعين ذاك الصوت لا تستطيلي أن تسكنى الا حيث يسكن الخليل

***

أيها البلبل رفرف بأجنحتك فى الفضاء واترك شدوك ساعة واتبعنى واهبط حيث ترانى واقفا واجما ، هنالك ترى نغماتك لم تكن الا نغمات صامتة تسمع صوتا يكون فى جانبه صوتك مزعجا

***

أيتها الحسناء : حطمى عودك وقطعى أوتاره وتعالى لتسمعى صوتا ينساب فى الجسم الى القلب كما تنساب الكهرباء فى الأجسام

تعالى واسمعى هذا الصوت . صوت الخليل ، وأنا أقف أمامك لأنظر الى عينيك وجبينك لان ذاك الصوت يدخل أعماق قلبك فيفتش هنالك فيكتب كل مايجد على عينيك أو على جبينك

***

وأنتم يامن تطربون من سمع الحمام وتهتزون لصوت العندليب ويا من تعدون ذوب أفئدتكم الى (محركى) أوتار العود والكمنجة تعالوا واسمعوا صوتا يهتز لسماعه البائس والحزين والخلى والشجى تعالوا واسمعوا هذا الصوت

فهو يجرى مجرى الاصالة فى الرأى ومجرى الارواح فى الأجسام

توطئة

انقد كتاب (مقتطفة من كتابنا الحصاد)

(كن شديد التسامح مع من يخالفك فى رأيك فان لم يكن رأيه كل الصواب فلا تكن أنت كل الخطأ يتشبثك ، وأقل مافى اطلاق حرية الفكر والقول تربية الطبع على الشجاعة والصدق وبئس الناس اذا قسروا على الجبن والكذب

(شبلى الشميل)

سيدى الأستاذ . . .

قد قرأت كتابك فرأيت من واجبي وأنا أحد أبناء هذه الأمة التى أنت منها والتى لاجلها ألفت هذا الكتاب خدمة لابنائها ولغتها وعاداتها أن أشاطرك (الخدمة) وأقاسمك التعب على مابى من ضعف ايكن الثواب بيننا ان رضى مولاى والا فله الاجر كله . . .

وما أنا بالداعى لعزة بالجوى ولا شامت ان نعل عزة ذلت

أجل يامولاى

قرأت كتابك ، فان شخصيتك لها مكانة فى القلوب لا ينالها مؤلفك أما الفائدة التى من أجلها جمعت هذا الكتاب فأنت فى نظرنا أكبر منها جدا

(وكفى كفى وصل النظر)

بالله يا هذا القمر هل تدرى أنى فى سهر

ارعاك لا أهتم بالكا س ولا حسن الزهر
لا الناى تشغلنى ولا عود ولا صوت الوتر
عل الحبيب الهاجرى لجمالك الزاهى نظر
فيلاقى طرفى طرفه ان كان يجمعنا القمر
انى رضيت قضاءه وكفى كفى وصل النظر

مذكرات مجنون

(١) بين مساء وصباح

عند ما أرخى الليل سدوله وتربع على هذا الفضاء وجلست السكينة على كرسيها القائم على أجنحة الليل . دخلت غرفتى فلم أر الا ظلام الليل وأشباح الدجى تمثل أدوارها على فضاء غرفتى !

أدخلت يدى فى جيبى أخرجت الثقاب وأنرت الغرفة لأرى الظلام في النور وأشباحه فى الضياء . فلم أر الظلام واقفا . ولا الاشباح لاعبة !

ثم تناولت النور بيدي وأطفأته . وجلست على سريرى فماد الظلام وأشباحه . وأصبحت جالسا وأمامى نقاب أسود كثيف لاتخترقه أشعة النظر ولا أسمع سوى صوت الهبوب الداخل من ثقوب الباب والنوافذ ، الحامل فى طياته زفرات خافتة تسمعها القلوب المتألمة ، وأنينا تشعر به الافئدة التى تسيطرت عليها الكآبة . وتنهدات النفوس الحائرة فى ظلام الليل

بت ارسم الخطة الشريفة التى اكتسب بها عيش الغد : فى ظلام

الليل رأيتها حسنه جميلة محكمة . ولكن عند مابدا الفجر ومزق اشلاء الليل وتركنى وخطتى الجديدة . قمت فى ضياء الصباح وعملت بالخطة الجديدة الى المساء فرجعت وأنا اليوم كأمس

فى ظلام الليل

رأيت العمل ينهض بالحظوظ ورأيت الحظوظ جاثية أمام الاعمال فرسمت خطى على ذلك وفى ضياء الفجر رأيت الحظ يزين الأعمال ورأيت العمل ساجداً .

وآمر قلباه ، سوف ارجع فى المساء واجلس على سريرى بين طيات الظلام فتنظر الى آمالى بعين الازدراء وأنا حقير أمام أمانى وأحلامى :

مذكرات مجنون

(٢) الالم المجهول

صديقى زهير :

مثلما تمزق هبوب العواصف أثواب الزهور فتهوى على الارض . ثم تنسحق وتضيع فى الاثير هكذا يمزق الألم طيات القلوب فتخر بين الضلوع منفطرة حزنا ولكن لاتندثر ولا تضيع

وليست جراحات الجسم مؤلمة مثل الجراح التى تكمن فى زوايا النفوس . فهذى عميقة لا تستأصل ولاتنفع فيها مساحيق الجلد . بل

تزيدها حرقة وألماً

أن الذى يتألم ويكيف علته دعه ولا تحفل به فقد يشفيه ذلك ولكن الذى لا يعرف لألمه كنها ولا موضعا : هو الذى يتألم حقا . ويشكو حتما فان عزيته فقد يضير به العزاء :

فؤادى : فؤادى لجة عميقة لا أعرف ما أنطوت عليه من الأسرار فهو كقاع البحار ولكنى عند بزوغ الفجر أشعر بها تغلى وتفور كأن أشعة الشمس سلطت عليها . وعند سكون الليل تتجزء فأحس بانفاس حارة كريح السموم وفى داخلى انفعالات مبهمة كأمواج البحار تتلاطم ووخز دامى كطعن الابر بل أشد منه :

ما أشق الذى يشكو ألما مبهما وعلة مجهولة !!

قمت الى المصباح أتعزى بنوره فرأيت فتيلة يحترق حوله فراشات تئن هى بين الموت والحياة :—

فزادنى جهاد الضوء للبقاء وأرتفاعه فجأة وهبوطه فجأة فى ظلمات الليل الهادئة وحشرجة الفراش حوله ألماً على المى المجهول :

وجالت فى رأسى آلاف الفكر والهواجس . وثقل دماغى حتى بات كالحياة : فنفخت الضوء بشدة ويا ليتنى ما فعلت :

ظلام كنفوس المجرمين وديجور مخيف وهدوء كالذى فى القبور هى طريق الجنون !

أشباح الليل تحوم حولى وتطن فى اذنى نفحات غريبة كأسرار السكون أو كأسرار نفسى المبهمة

أرى أمامى صوراً ومواكباً تمثل الموت والحياة ولكن بأشكال هائلة تفزع أقسى القلوب

أين انا ؟ !

دقيقتان كعمر الأرض مرت على وأنا فى هذا الموكب حائر أبحث عن سر نفسى وكنه المى المجهول بين غوامض الكون وخافيات الدهر ثم خرجت حائراً اتلوى كالغريب وسط رهط السوء :

ما اكثر الذين يتألمون فى ظلمات الليل ومع الصباح وما اشقى الذى لايعرف لألمه كنها ولاموضعا :—

من لقلب ذاب من طول الشقا ولنفس صدعتها القارعات
إيه يانفس حياة مرة اين اين الموت يأخذ مابقى

من حياتى

إنما الموت يبيد الألما

الشخصية البارزة ... ؟

... أنا لا احسدك كثيرا وقليلا على شخصيتك البارزة هى فى نظرك شخصية بارزة جدا . وعندى لم تكن . . . لكن أقول لك ربما حال بينى وبين رؤية تلك الشخصية البارزة نقاب من نسيج الكآبة

يا أبناء السعادة :

كفى يا اولى الشخصيات البارزة منكم ، صفارة ، واحدة لا نتباهنا

حتى نراكم فنسير فى الطريق الى جهة الشمال خوف التصادم

يا أبناء المسرات

شخصيتكم البارزة . حقا هى اولى بالاحترام وأجدر بالاجلال والتعظيم وكل مانطلبه منكم هو (صفارة) واحدة . وهى منة عظيمة وتنازل فوق العادة ! !

يا أبناء النعيم ويا أحفاد الرفاهية

(صفارة) : واحدة : لئلا تطئوا بأقدامكم البارزة اجساداً لا ترونها بعيونكم البارزة المحدقة بالبهرجة البعيدة عيونكم التى تدير كل مالكم فى الحياة ! !

يا أبناء الحياة :

... وانت ياصديقى الباكى شخصيته المنزوية من وراء ضباب الشقاء المحتجبة بغيوم البؤس

كفكف دموعك ساعة وأنظر الى تلك النفوس

فماذا تجد ؟؟

تجد عزاء لنفسك وتعلم إذ ذاك إن شخصيتك المنزوية بعيداً مامنعها من أن تكون بارزة إلا الدخان المتصاعد من .... الشخصيات البارزة الهائلة الزائفة !

ولكن بعد قليل ينفد الفحم فلا دخان ولا بخار ولا شخصية بارزة وترى تلك الشخصيات قد استحالت الى شخصيات من طراز آخر .

لقب صايع

من همس الصباع . . . .

. . . ليست (الصياعة) صفة تتصف بها فئة مخصوصة ، ذات شخصية ظاهرة . تمثل هيئة (صائعة) أو سفيهة ولا هى (ماركة مسجلة) لطبقة معينة بل هى لقب معلق في الهواء . يأخذه كل من دخل حفلات الرقص سواء كان شريفاً أو وضيعا . عزيزا أو ذليلا متعلماً أو جاهلا وكثير من نال لقب صايع رغم أنفه أعتقد ذلك أو لم يعتقد

وحسن جدا أن يبقى هذا اللقب معلقا فى طريق مسارح الرقص

احد كتابنا

هو كاتب قدير فى أسلوبه طلاوة وعذوبة ! !

كاتب هو . نعم . هو كاتب فى أسلوب واحد يجيد العزف على نغمة واحدة . . .

يطربه نشيد طبقة واحدة

هو كاتب حقا ومفكر أيضا وكثير الاطلاع كذلك يكتب بأساليب مختلفة ... !

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

هو أديب وأستاذ فى الأدب . وخطيب مصقع حائز لشهادة الدكتوراه فى الخطابة

أنا اعترف بذلك على الرغم مني ؟ ! —

آه آه ، كم حسدت الأستاذ ونظرت اليه شذراً لتلك المواهب التي آختص بها .

مالاح لى الاستاذ الأفندى أو خطر بفكرى الا وخلعت عمامتى وصليت صلاة حارة ووهبتها على روح المرحوم «شكسبير» لانه مات قبل ان يرى امنيته مات قبل ان يرى الاستاذ لانه كاتب «ربه الجمال كالذى نراه فى اعين المرأة»

هو كاتب ما رأيته يوما جالسا . او واقفا . قاعداً . او سائرا . الا وانشدت اذ ذاك : —

وكم لظلام الليل عندى من يد تخبر ان المانوية تصدق

هو كاتب فيلسوف وعالم اجتماعى هو مجموعة تفكير وآراء وفلسفة وخطابه وأدب

هو حقا جسم نورانى شفاف لم يكن فيه دم .

« فشراب الرضاب للجرح يأسى »

ياغزالا رأيته يوم أمس يحتسى الكاس رافلا فى الدمقس
يتهادى فى مشيه كقطاة أو كمشى العروس ليلة عرس
فاتر الطرف باسم عن اقاح ادر الكأس دع بكفك كاسى
انا عفت المدام منذ زمان فشراب الرضاب للجرح يأسى

الى أحد شعراء السودان (١)

هذا ماقاله أحد شعراء السودان عقب محاضرة ألقيناها « بنادى خريجى المدارس »

كنا نجل هـذا الشاعر كثيراً من أن يفوه بمثل هذه الفكرة أو يعتقد هذا الاعتقاد

فكرة طائشة . واعتقاد مأؤه الوهم والتحريف .

ياسيدى الشاعر ليست الحداثة فى السن بمانعة الانسان من ان يتقدم فى أى ميدان من ميادين الحياة ليعمل فيـه . وليس هناك قانون قضى على سن الشباب بالخمول والفتور . ولـكن هناك مثل تقوله العامة :

(تأدب لمن رأى الشمس قبلك) المعنى الذى تريده العامة من هذا الأدب أن يقف الصغير أمام الـكبير موقف (المسكنة) مطرقا نحو الأرض . خافت الصوت . هادئ الحركة . لايقول غير كلمة نعم أو حاضر

وقد كان هذا المبدأ اساس التربية المنزلية فى كثير من البيوت فى القرن الماضى وانصار هذا المبدأ . واساتذته هم فقهاء (الخلاوى) وكانوا يعاقبون الاولاد اشد العقاب اذا اهملوه اتكالا على قول الآباء : —

(١) « شاب صغير السن تخرج من المدرسة امس لا يصح ان ينتقد اليوم من هو اكبر منه سنا واكثر تجاربا بل يجب ان يمنع الامين شاب مجنون عنده (هستريا) قديمه »

« احد شعراء السودان »

« لك اللحم ولنا العظم »

ومن المستحيل ان تتمخض يوما ما هذه التربية عن رجل مقدام يقول الحق غير هياب ولا وجل ، بل هي تخرج لنا رجالا فى اشكال الرجال ، تولد روحا خاملة ونفوسا هادئة هدوء الاموات

اما الآن فقد تلاشى هذا المبدأ . ولم يبق منه الا النذر فى قليل من البيوت

فهل يريد الاستاذ منا أن نتأدب بهذا الادب الذى ما تأدبت به أى امة الا وقعد بها الى الحضيض ونزل بها الى الهاوية

هذا هو الادب الوحيد الذى يمنع سن الشباب من العمل والنزول فى ميادين الجد والاجتهاد

فنحن نقول لمولانا الشاعر : —

ان سن الشباب هى سن العمل . وان من خسر ايام شبابه خسر الحياة كلها .

اذا المرأ اعيته المروءة يافعاً فمطلبها كهلا عليه شديد

(١)

الشاعر المجنون

انا شاعر ، والشعراء قليل فى نظرى كثير فى عرفهم . انا صادق فيما ادعى وهم غير كاذبين .

---

(١) نشرت بجريدة الحضارة

وغناء الطيور . على ضفاف الجداول . فأغنى إذ ذاك صوتا يطرب المجانين ويرقص المجانين . ويستميل قلوب المجانين . كلانا شاعر ، اعترف بذلك جدا وزيادة . وادين بأنهم شعراء ينظمون الشعر المقيد بالوزن والقافية . وهم الشعراء المقيدون أو الشعراء العقلاء

وأنا الشاعر الحر أو الشاعر المجنون . . .

أسيدتى لا الدهر يسعد مطلبي ولا أنت إنى حرت بينكما جدا

ثورة النفس

الى صديقى

الدموع تطفئ نيران العواطف الثائرة ، والتأوه يخفف من زفرات النفس المضطربة ولكن

تلك الدموع جامدة فى مآقيها ، فلا تستطيع القيام بواجبها وذلك التأوه لا يجدى نفعا

* * *

فابكي دموعك ياعين مااستطعت ، فان ماتقطرينه من الدموع يخفف آلاما كثيرة ، وأحزانا جمة ، وأنت أيها القلب :

سلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا حمل الصبابة ، فاخفق وحدك الآنا

أجل : فاخفق أيها القلب . وكن ذاكراً للوفاء والامانة التى أودعتها فى سويدائك حبا أسكنته فى أعماقك حبا طاهراً شريفا لم تصل اليه غير

وغناء الطيور . على ضفاف الجداول . فأغنى إذ ذلك صوتا يطرب المجانين ويرقص المجانين . ويستميل قلوب المجانين . كلانا شاعر ، اعترف بذلك جدا وزيادة . وادين بأنهم شعراء ينظمون الشعر المقيد بالوزن والقافية .

وهم الشعراء المقيدون أو الشعراء العقلاء

وأنا الشاعر الحر أو الشاعر المجنون . . .

أسيدتى لاالدهر يسعد مطلبي ولاأنت إنى حرت بينكما جدا

ثورة النفس

الى صديق

الدموع تطفىء نيران العواطف الثائرة ، والتأوه يخفف من زفرات النفس المضطربة ولكن

تلك الدموع جامدة فى مآقيها ، فلا تستطيع القيام بواجبها وذلك التأوه لايجدى نفعا

* * *

فاسكبى دموعك ياعين مااستطعت ، فان ماتقطرينه من الدموع يخفف آلاما كثيرة ، وأحزانا جمة ، وأنت أيها القلب :

سلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا حمل الصبابة ، فاخفق وحدك الا نا

أجل : فاخفق أيها القلب . وكن ذاكراً للوفاء والامانة التى أودعتها فى سويدائك حبا أسكنته فى أعماقك حبا طاهراً شريفا لم تصل اليه غير

الطهارة . وأنت أيتهـا العواطف . فني مكانك هادئة ، ولا توحى من الأخبار ما كان مزيفاً الى قلب سليم فان ماتقومين به من الثورة يحدث إضطرابا فى القلب ، ووخزاً فى الضمير ، وتهيجاً في النفس فستكون العاقبة وخيمة على الطرفين

وأنت ياصديقى إنسان والانسان معـذور فى تطوراته ، وانقلابه من حالة الى أخرى ، لان مايشاهده من الحوادث وما يعترضه فى طريقه من الآلام ، يجعله يرتدى ألوانا أكثر من ألوان الحرباء .

وما تأثير الشمس على كل شئ بأشد من تأثير الحوادث على الشعور والوجدان ، ومهما كان تأثيرها فهى أستـاذ حريص على منفعتنا فلنأخذ منها درسا للمستقبل

ياآمالى ....

أمل كان حيا فمات ورجاء كان على قيد الحياة فمزقت اشلاءه سهام اليأس فذهب الى حيث تذهب الاموات ، أمـل كان بين جنبى مقيما يربى غرفتى الصغيرة . أوسع من الـكون وانا وهو ، أكثر من سكان المعمورة . فانتزعته يد الأيام فجأة وذهبت به الى مرقد الآمال الاخير الى الدار الآخرة : —

لاحزن الا أراه دون ماأجـد ولا (كمن) فقدت عيناى مفتقد

.. أفلت الشمس فذكرتنى آمالى . أبكتنى كثيراً . وقد كنت منذ

« .. يموت الامل ويحل مكانه اليأس فيكون اليأس أملا جديدا . . . »

منذ قليل أرى الشمس طالعة فأخالها آمالى فى سماء حياتى ولكن أبت الايام الا أخذها

ولولا كثرة الباكين حولى على « آمالهم » لقتلت نفسى

... دخلت غرفتى فشعرت بوحشة كالتى تسكن القبور . فجلست على سريرى فوجدتنى هادئاً كالميت . بما كنا كالليل . فخرجت مسرعاً لابحث عن آمالى فوجدتها ... وجدتها هناك فى مذبح الآمال صريعة مضرجة بدمائها جثة هامدة . فجلست بجانبها انظر اليها والى جمالها الذى أخمدت نورته يد الموت ، ثم قمت من مكانى وحفرت لها قبرا عظيماً تحت أشجار « الحراز » المورقة وواريتها بالتراب هناك . بعد أن سكبت على قبرها صافيات الدموع ورجعت الى منزلى واليأس

فأنتم يارفاقى ويامن اتخذتم في الاشجار المورقة مقيلا ، ان مررتم بتلك المقبرة فحيوها عنى وأنشدوها بلسانى : —

« تزهدت فى وصل المعالى جميعها   ومن يطلبها كاطلابى يزهد
وبت تساوت ، فى فؤادى مناهج   تؤدى لخفض أو تؤدى لسؤود
وهذى بحمد الله منها براءة   فياأفق سجلها ويا أنجم اشهد

وأنت يانفس لاتجزعى لسوف أجد لك فى هذا اليأس أملا تحيين به إلى الابد ، وأهلا بك أيها اليأس أنت ياأملى الجديد

يا مديد أنت لى آسى

سئمت قومى أن آوى الى الناس   واطلب العيش بين الطاس والكاس

قم ياحبيبي أسقينها غير مكترث   بين الرياض و بين الورد والآس
والزهر يضحك والاطيار شاديه   وأنت تنشد ، يامن أنت لى آسى

بيتان لاحد شعرائنا

توفيق افندى احمد

أدين لهـــا بالحب حب متيم   ويعنو لهـا دون المـدائن راسى
تغلغـل حبهـــا بقلبي فلا أرى   سوى نورها فى ليلة الدجن نبراسى

ماذا ترى فى هذين البيتين ياصديقنا القارىء ؟

ألم تر قلباً مفعما بالآمال والآلام ، ووطنيـة صادقة ملـكت من هذا الشاعر أعنته ، وروح شاعر تسمعك نغمة موسيقيـة شجية تنساب من هاتيك الالفاظ فتتسرب الى أعماق قلبك فيضطرب وتوقفك أمام نفسها لترى ، هل أنت رجل وطنى تشعر بواجبك نحو بلدك وأمتك وعندى ان الرجل الوطنى هو كما قال عنه اللورد ملنر : —

« وليس الوطنى رجلا يرى بالضرورة ان بلده أفضل البلاد الاخرى أو انها ترغب عن التعليم من سواها ولـكن يفكر ، ان واجبه مخصص نحو أمته وحدها ونحو رقيها ، ويعتقد أن هذا القانون هو النظام الالهى للعالم وانه قانون الحياة والتقدم »

ترى فى هذين البيتين إخلاص المحب وحب المخلص . وقلبا جسام مآربه

ترى سلاسة الاسلوب وحسن الالفاظ ترى طلعة شاعر سيكون بدراً كاملاً فى سماء الادب

انتقاد صامت ...

تناول صديقي ذلك الكتاب الذي وجده أمامي أول أمس ، وبعد أن نظر في صحيفة وأخرى وثالثة ، وكنت وقتئذ أتمعن ملامحه فأراها تتغير بتغير الصفحات

رفع بصره ونظر الى نظرة غريبة عميقة جذبت بقوتها المغناطيسية كل أفكاري ، فبقيت صامتا أسائل نفسي وأناجي تلك النظرة على ان أستشف ماوراءها

هي لم تكن نظرة إعجاب ولا ثناء بل هي نظرة غريبة جداً أقرب الى نظرة التوبيخ والتأنيب

وهل أنا مجرم عند هذا الصديق فاعاقب بتلك النظرة أنا ماأسأت اليه ، غير انه وجد بيدي كتابا يرى حراماً على غير ... استلامه

لا ياصديقي : العفو والمغفرة . ولا آخذك الله على هذه الجريرة ، على نظرتك الحادة المحدثة عن مخبآت صدرك الطاهر ومكنونات قلبك السليم أتعتقد ياصديقي أن كل من قرأ كتابا يدين بما فيه ويسير على اراء مؤلفه وافكاره ؟؟

إن كنت تعتقد ذلك فيجب عليك أن تعتقد أيضاً أن الكون (مارستان) والعالم مجانين لأن الكثير من الناس يقرأ في ساعة واحدة آراء عديدة متناقضة متباينة في موضوع واحد . فمن قرأ هذه الآراء الكثيرة والمتباينة واعتقد بصحتها كلها وأتبع هذا الرأي ساعة والاخر ساعة لاشك انه مجنون مجنون ياصديقي

نظرات في تقاليدنا

الغناء — الغنا

المرأة السودانية والرجل ـ والحياة الزوجية (السودانية) ـ تأثير الغناء ـ نظرة سريعة في بعض قصائد عمر بن ابي ربيعة

الغناء — الغُنَا

نظم آباؤنا العرب الشعر وقيدوه بأوزان وقافية كما أرادوا فكونوا من الشعر ماأسموه البيت والقصيدة وعمله الاندلسيون ووضعوا له وزنا كما شاءوا وقالوا عنه الموشحات والازجال وعمله المصريون بلغتهم الدارجة وعرفوه بالموالات و ... وعملنا نحن الشعر بلغتنا المستعملة بيننا واخترنا له قافية ووزنا وقلنا عنه الغنا (بضم الغين)

فالقصيدة والموشحة والموال والغنوة كلها مصبوغة بصبغة واحدة وهى الصبغة الشعرية العربية

* * *

كثيراً مانقرأ بيتا من الشعر القديم وآخر من (غنوة) سودانية يتفقان فى المعنى وقد يكون بيت (الغنوة) أبلغ لغة وبالعكس ومنه قول الشاعر

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت   ورداً وعضت على العناب بالبرد

أخذه أحدهم وزاد فيه زيادة حسنه فقال : —

حين راع الوداع رجعت علي أعقابا   بالدر النفيس عضت على عنابا

من زجر عيون اللولى ضب صبايا ... فى ورد الخدود خلّ الزهور تتسابا

وكثير مثل هذا الغناء ، وقبل أن ابعد عن هذه النقطة أقول كلمة موجزة :—

أن اللغة العربية الصحيحة قد تلاشى أستعمالها منذ مئات السنين فهى الآن أثر من الآثار محفوظة بين طيات الكتب والمجلات ورسائل الأدباء وسيكون هذا الأثر باقياً إلى يوم الدين إن شاء الله فترانى لا أعتقد ولا أظن احداً يعتقد ان فى الكرة الأرضية قوما يتكلمون بلغة عربية صحيحة ، والاقطار العربية قليلة معدودة هاهم المصريون أقرب الناس الينا وأولئك السوريون وها نحن السودانيون وتلك جزيرة العرب منبع اللغة العربية والفصاحة العربية والنهضة العربية والنبوغ العربى ، كل هذه الشعوب تتكلم بلغة عربية عرجاء

* * *

نحن كثيراً مانقرأ بيتاً من الشعر من قصيدة عربية فصيحة ونقرا بلغة عربية اندلسية وثالثا بعربية مصرية ورابعا بعربية سودانية فنفضل من هذه الابيات ما كان اسمى معنى وأقرب إلى الفهم لا أبلغ لغة وأصعب فهما إذ اللغة هى أداة تفاهم لا أداة معضلات ومشكلات وعجرفة زيادة عن اللزوم كما نشاهد فى كثير من رسائل إخواننا .

وإنا لاندرى لماذا يفضل بعضنا قول الشاعر واظنه ابن خفاجة :

وما شاقنى الا حفيف اراكة ... وسجع حمام بالعذيب ترنما

على قول الشاعر السودانى :—

غنى صاح القرى وسجع　　ياخليلى وزاد الوجع

نحن نترك الحكم للقارئ على هذين البيتين غير انى الفت نظره الى قول الاول شاقنى حفيف الارا كه وسجع الحمام ـ والى قول الثانى زادنى الما غناء الحمام وسجعه نفس أى البيتين أظهر الألم والحزن ؟ ؟ من يفضل الأول على الثانى فلا تجد عنده غير حجة واهيه لاتقوم على اساس وفى غير هذا المكان سنتكلم على هذه النقطة

وعندى من الجواب ان نحترم لغتنا الدارجة لأنها اللغة التى نتكلم بها مع أبائنا وابنائنا داخل منازلنا وخارجها وهى اللغة التى لايمكننا أن نتفاهم بغيرها ، فان لم نحترمها الأحترام كله فلا يصح أن نزدرى بها إلى حد اضطهاد من يستعملها فى خطراته الشعرية والغنا ء

فالغناء : بضم الغين هو الشعر السودانى

والغناء . هو الصوت الطيب كما يقوله الأمام الغزالى

وهذا الصوت ينقسم الى مفهوم كالاشعار وفى غير مفهوم كاصوات الطيور والحيوانات : ويقول الامام الغزالى أن سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغى أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس .

والغناء لاينحصر فى باب واحد من ابواب الشعر ولا هو موضوع لباب مخصوص ولايجب أن يتناول الغناء معنى واحداً ـ والانسان بطبعه ميال الى التنقل ولو من أحسن الى حسن ، ولايطرب الانسان من غناء إلا أذا كانت له مناسبة فى نفسه ولايحرك قلبه إلا إذا صادف هوى فى فؤاده فأن لم يجد المناسبة فى المعنى وجدها فى الصوت ، ويقولون (يغنى

المغنى وكل على هواه) ــ ويحكى عن أبى يوسف القاضى إنه كان يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان سروره بكاه كأنه يتذكر به نعيم الآخرة وأن من يتتبع حركة الغناء العربى يكاد يجدها منحصرة فى الغزل والغناء بغير الغزل قليل نادر وقد احتج بعضهم على اباحة الغناء واستحسانه بقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة : أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لا ــ قال أما علمت ان الانصار قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول :—

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الحبة السمرا ء لم نحلل بواديكم

(فالغزل في هذا الحديث هو الغزل الذى نتكلم عنه) ويقولون أرق سيدنا معاوية ليلة فذهب الى سيدنا عبد الله بن جعفر فوجد معه مغنى يغنى مجلس معاويه وسمع من المغنى

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

فطرب من ذلك وطلب منه أن يغنيه فغناه :—

وليس عندك شكر للتى جعلت ما أبيض من قادمات الشعر كالحمم
وجددت منك ماقد كان اخلقه صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فأطربه ماسمع حتى قال لى : كل كريم طروب

وسمع أيضا وكان معه عمرو بن العاص فى مجلس عبد الله بن جعفر مغنى يغنى قول قيس بن الحطيم :—

ديار التى كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائب

الأبيات . فطرب حتى لامه عمرو وقال له أن الذى جئت لتلحاه أحسن منك حالا وأقل حركة فقال معاوية :— اسكت لا ابالك كل حر طروب ويقولون ان معبدا لم يتغن بمدح غير قول الشاعر فى مدح عرابة الاوسى :—

إذا ماراية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وقول موسى شهوات فى حمزة بن عبدالملك :—

حمزة المبتاع بالمال الشنا ويرى فى بيعه ان قد غبن

فهو ان أعطى عطاء كاملا ذا أخاء لم يكدره بمن

***

وقد كانت للغناء سوق رائجة خصوصا أيام الدولة الاموية فى الشرق والغرب والاندلس ، وقد كانت للاندلسيين عناية واهتمام بالغناء وان الغناء هو أقوى عامل كان سببا فى عمل الموشحات الاندلسية التى منها موشحة ابن المعتز البليغة :—

أيها الساقى اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع

ونديم همت فى غرته — وبشرب الراح من راحته — كلما استيقظ من سكرته

جذب الكأس اليه واتكا وسقانى أربعا فى أربع

مالعينى عشيت بالنظر — أنكرت بعدك ضوء القمر — فاذا ماشئت فاسمع خبرى

عشيت عيناى من طول البكا وبكى بعضى على بعضى معى

غصن بان مال من حيث التوى — مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشاء موهون القوى

كلما فكر فى البين بكى   ويحه يبكى لما لم يقع

ليس لى صبر ولا لى جلد — ياقومى عذلوا واجتهدوا   انكرو
شكواى مما أجد

مثل حالى حقه أن يشتكى   كمد اليأس وذل الطمع

كبدى حرى ودمع يكف — يذرف الدمع ولا ينذرف — أيها
المعرض عما أصف

قد نما حبى بقلبي وزكا   لاتقل فى الحب انى مدعى

* * *

الغناء السودانى (٢)

أما الغنا السودانى فقد تكلمت عليه قبل هذه المرة فى مقال مقتطف من كتابنا الحصاد أرسلته الى جريدة الحضارة فاقتطف منه مانصه مع زيادة قليلة : —

كان الغنا السودانى منذ العهد القديم والحديث مهنة مبتذلة لاتمارسها الافئات خاملة أو مايقولون عنهم (السفهاء) الذين أطلق عليهم الرأى الجديد (صنياعا)

أجل : —

كان الغنا منحطا مبتذلا ولابد أن تكون هنالك علة لذلك الانحطاط وعندى أن العلة هى

لما كانت الصلة متينة بين الغنا والرقص أو كان الرقص هو العامل الوحيد لنظم الغنا وتوقيعه وهو محرك عواطف المغنين وكان من المهد القديم أفاضل الناس (منا) يبتعدون كثيراً عن مسارح الرقص فكان لا يتصف بمهنة الغنا الا كل خامل ولا ينظمه أو يتغنى به الا طبقات ذات شخصية مهانة ، فانحط الغنا الى الدرجة التي كنا نراها أو نسمع بها كقولهم :

المسحو وجابو دقفوا في الحر

والقديم متبور زى حمام البر

فهذه لا تتجاوز نغمة موزونة ترقص الراقصة على (طنبورها)

ونحن لا ننكر أن الغنا القديم الذى لم تكن له علاقة بالرقص كان فيه الحسن والجبن كأغنية الشجاعة والكرم وغيرها .... كقولهم:

أنا دراج رفيقه . انا فرج الرجال وقتين يضيقو ، انا الدابى الرصد للزول يميقو ، انا المأمون على بنوت فريقه يعجبنى جدا قوله : انا المأمون على بنوت فريقه : وكقولهم فانحطاط الغنا كل ذلك الزمن لم يكن لمرض فى الاذواق أو انحطاط فى الشعور أو موت فى الوجدان بل كان لتلك الفكرة الحسنة وهى محاربة الرقص حقا هى فكرة حسنة لا بأس بها من حيث انها تقاوم بدعة شنيعة لا يقبلها الدين وتأباها المروءة ولكنها لم تأت بالفائدة المطلوبة وكان سببا فى قتل الغنا الذى كان يجب الاجتهاد فى تحسينه حتى يكون فنا ذا قواعد وأصول يمكن استغلاله والاستفاده منه بنوعيها

وقد كان الغناء فنا محترما عند القدماء منهم آباؤنا العرب رحمهم الله وكلنا يعرف ما كان لمعبد من المكانة السامية عند أمراء السلف

وما كان لغيره من المغنين

لم يكن معبد صائما أو سفيها او ذا شخصيـة مهانة بل كان رجلا محترما فى مجالس الرؤساء والامراء ، كان حريصا عـلى الغناء محبا له ومما يروى عنه ، انه سمع ان قتيبة بن مسلم فتح خمس مدائن فقال انى غنيت خمس أصوات هن أشد من فتح المدائن التى فتحها قتيبة والاصوات :ـ

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل

***

هريرة ودعها وان لام لائم غداة غد أم أنت بالبين واجم

***

ودع لبانة قبـل ان تترحلا واسأل فان قليلة ان تسألا

***

لعمرى لاشطت بعتمة دارها لقد كنت من خوف الفراق الح

***

رأيت عرابة الأوسى يسمو الى الخيرات منقطع القرين

الي هذا الحد كان يفتخر معبد وما معبد با كثر من مغنى ولا هو زيادة عن رجل يجيد اللحن والتوقيع

***

والغنا عندنا اليوم رغم تلك الفكرة السائدة التى تزدرى بالغنا قد خطا خطوة سريعة حميدة وظهر بمظهر يبشر بنجاح هذا الفن ووقف على مرسحه الخفى كثير من الافاضل الذين يشعرون بوجودهم ويقدرون

المسئولية التي تتعلق بهم وسمعنا أصواتا تجيد اللحن والتوقيع كما كان يجيد معبد والموصلي فلماذا لا يكون الغناء (الغنا) عندنا فنا محترما ولماذا لا يحترم من يجيد اللحن والتوقيع .. ؟؟

وقد علقت جريدة الحضارة على هذا المقال تعليقا لا بأس به نوافق على أكثره .

وغير هذا آراء كثيرة تدور حول الغنا السوداني في هذه الأيام الاخيرة التي راجت فيها سوق الغنا حتى أصبح يترنم به الشيخ والصبي الكبير والصغير المتعلم والجاهل

وقد تكلمت مع بعض أصدقائي على الغنا الحديث فمنهم من يستحسنه بغير استدراك ومنهم من يستهجنه من حيث الالفاظ ويستقبحه قائلا انه محشو بالمعاني التي تخلب لب المولعة وتستميل فؤادها الى أشياء في نفس الشاعر ويعتقد أن ضرره اكثر من نفعه ويقول ان المرأة التي تسمع :-

يالم ضميري عارني النحول   عن فراقك انا بحول
دا الفراق الشبيه الرحول   قبلي حاصل قتل فحول
يا ام دلالا فطره وتقا   يا المعاني ويا الارتقا
يالعفاف يامثال التقى   لي سلامتك للملتقى

أو تسمع :-

البنان خضيب كيفن عاد بطيب
دا الوريد الباهي المحق الوضيب

انت بس منـــاى نزهتى وهنـــاى
جنتى ونعيمى علتى وشفاى

أو تسمع : —

ياخليلى الحب نصيب من دموعى الهمبات خصيب
العواذل قالوا لى سيب كيف اسيب ظبيات الكثيب

وما شا كل ذلك فانها لاتستطيع الا أن تقف موقفاً يجعلها مهددة الشرف ، وعفافها قريبا من السقوط فى الهاوية . وكرامتهـا على وشك الزوال . يقولون ذلك وأ كثر . ومن دواعى الأسف والخجـل ان يقولوا ؛ ان مايتركه الغنا من أثر فى المرأة يجعلها عاطلة مهملة فى واجبها ، مقصرة فيما هى مكلفة به . متهاونة فى شؤونها المنزليـة ، غير ملتفتة الى غير (دلـكتها ودخانها) وتكحل عينيها وصقل خـدبها . يقولون هذا وأ كثر من هذا . ويقولون كيف تنهض المرأة وهى تسمع : مثلا

ياالخليل تومنى الهلوعا مافى — أم رخصات ضلوعا
تشتكى العتبة وطلوعا تمشى رفعة وترنو لوعا

هذا كلام مضحك !! كلام يخالف القيـاس والسماع فلا يصح أن نأخذه على علاته ، أو نتركه من غير أن ننظر اليـه ولو نظرة سريعة . ويحسن هنا أن نقول حكمه عن المرأة السودانية أولا . —

المرأة السودانية والرجل (٣)

قلت فى مقدمة مقال نشرته بجريدة الحضارة

العفاف صفة يشترك فيها الرجل والمرأة على السواء . فاذا حافظ الرجل على هذه الصفة فعفاف المرأة لايتهدده شيء ولايخشى عليه. لان الحياء الذى منحته المرأة يكون لها مانعا قويا من ارتكاب الجرائم التى تدنس شرفها . المرأة والمرأة السودانية خصوصاً هى كآلة بيد الرجل يقذفها حيث أراد وشاء . ويمكنه أن ينهض بها الى أعلى قمة حيث الشرف والعفاف . أو يهبط بها الى أعماق الارض ، حيث لاشرف ولا عفاف ولا كرامة .

المرأة السودانية اليوم وأمس خاملة عاطلة . كأن وجودها من كماليات الحياة أو أقل من ذلك بكثير

فاذا فكر الواحد منا فى حياة المرأة السودانية ، فانه لايجدها أكثر من حياة حيوان أليف . وكان ذلك بظلم الرجل أو جهله وضعف المرأة . المرأة في بيت أبيها أو هى فى حياتها الاولى تعيش عيشة باردة ، مختلقة بأخلاق غير ثابتة ، أخلاق مؤقتة تزول بانتقالها الى حياة جديدة او حياتها الزوجية . وتنتقل من بيت أبيها الى بيتها الجديد وهى جاهلة الحياة الزوجية تصل الى زوجها وهى كطفل تحتاج الى ما يحتاج اليه الطفل من التربية الصحيحة ، وهنا يجب أن يتولى تربيتها الزوج بالطريقة التى يختارها لنفسه . وما يجب أن يرى زوجته عليه وقد تعترض الانسان عوامل مؤثرة أو مضرة بحياته الزوجية ، أو ان هناك يدا تعبث بخطته التى رسمها لزوجته :

فكثيراً مايقف بعضهم فى هذا الموقف موقف الجبار الظالم . راجيا

تحقيق المستحيل . مستأصلا الشر بالشر . بصفته حاكما استقراطيا على المرأة . وإذ ذاك تكون الفوضى داخل المنزل بين أفراد العائلة المؤتلفة التى تربطها روابط متينة الصلة قوية الأساس . مع أن الحكاية لاتحتاج لأ كثر من حزم يشوبه عدل . وقوة ارادة يخالطها انصاف . وهذا مايجعل الحياة الزوجية هادئة مطمئنة

فاذا هدأت الحياة الزوجية وتربع الرجل على كرسى الحكم فهل يجد مشقة فى أن يسير بالمرأة فى طريق الكمال . سواء أ كانت زوجته أو ابنته وهو الحاكم المطاع النافذ الكلمة ؟؟

زوجته آلة بيده يلقيها حيث أراد وابنته أطوع اليه من بناته ، حتى لا يجد مشقة ولا يلاقى صعوبة ، والزوجة والبنت فى استعداد للسير فى أى طريق . ان حسنا فحسن

وان كان رب البيت بالدف مولعا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

فاذا سار الرجل فى طريق الكمال سارت المرأة وراءه . وان حاد عنه حادت مقتدية أثره متنازلة على رغباته فى كل شيء

أما قول بعضهم ان تلك الاغانى عقبة كؤود فى سبيل نهوض المرأة فهى حجة واهية ومع انها واهية فلا يدحضها الا دليل محسوس : المرأة العربية القديمة التى كانت تسمع

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

* * *

ويجول مسواك الاراك بثغرها فكأنما برضابها شهد

وما شاكل ذلك من المعانى التى تجعل المرأة تهتم بشكلها أكثر من كل شيء وان لم تكن المرأة العربية ناهضة فهاهى المرأة المصرية اليوم تقوم بأعمال جليلة نحو نفسها وأمتها مع انها كانت تسمع فى أيام طفوليتها وقبل زواجها وبعد

انا لما استلطف مايهمنى بابا وهاتى حبيبى يانينـه الليلة

ومثل هذا وأشنع من هذا . وكل ذلك لم يقف فى سبيل تقدمها ونهضتها . فكانت المرأة المصرية رغم تلك الاغانى الشائعة . امرأة عاملة ساعدت الرجل فى كثير من أعماله وكان لها أثر لايستهان به فى نهضة بلادها الأخيرة

زاولت مهنة التعليم فكانت خير مربيـة لامهات أبناء المستقبل وتلك الآنسه منيره ثابت صاحبة جريدتى الأمل ولسبوار تقوم بعملها الصحافى كما يقوم به أى رجل صحافى وهى تبذل كل ماعندها من جهد فى خدمة أمتها وبلادها

تأثير الغنا (٤)

ان الأغانى العامية لم يكن تأثيرها للدرجـة التى تقعد بالمرأة الى الحضيض وتمنعها من العمل

فالمرأة السودانيـة لاتقف راقصة الا برضاء الرجل ولا تكون مجرمة الا اذا أراد الرجل منها الاجرام (وبالاختصار) كل ماترتكبه المرأة من إثم فتبعته ملقاه على عاتق الرجل وحده

الغنا السوداني — نظرة سريعة في بعض قصائد عمر بن ابي ربيعة

الغنا عندنا اليوم أكثره من باب الغزل وهو ماتتغنى به الا كثرية فاذا أخذنا (غنوة) غزلية كقصيدة عربية قديمة فلا نجد فيها شيئا مضراً بالآداب كما يقولون وهاهو انموذجا من الغنا السوداني الحديث : —

ياحمام الا يك سجعا واسأل الله رجعا
النسيم سارقني هجعـــا زادني عــلة وزادني وجعا
انتهيت من بعده صجعا يانسيم أرجوك رجعا
المنابي استمرا واحلو في لساني مرا
اعمى مرة واصحو مره مالو لو تذكرني مرة
ربما في شكرك جهودي ربما غارق في رهودي
انت أظن عاجبك سهودي مسلمة وقلبك يهودي
لي المال عز عزاً وجوالك الى ازا
انت في البتة والمعزا ليت لو عزاي عزا

نحن لا نرى في هذه الابيات غير رجل متألم يقول :

أيها النسيم لقد زدتني ألماً وأذهبت عني ألما فلا أنا بعد بنائم فارجع الي يانسيم لقد استمر عذابي واستحال العسل صابا في لساني حتى أصبحت بين الحياة والموت فهل هي ذاكرتي ولو مرة ؟؟

أنا أشكرها جهدي مع اني ساكب دمعي ساهدة عيني ، وأظنها راضية ذلك وما أقساها !!

توعرت طرق وصالها وأنا مضنى بها وهى عنى غافـلة فليتنى مت واسترحت

ثم انتقل من وصف حاله الى وصف محبوبته فقال

ديسك   اللماسطة قلق   يستركـ لوكان   ملـكك
ريدى من   غيرك مقاق   مالى   والحظ المعلق
ياالخليل تو متى الهلوعا   مافي ـ رخصات صلوعا
تشتكى العتبـة وطلوعا   تمشى رنمـة وترنو لوعا

وكل مافى البيتين ان التى يتعشقها كثيفة الشعر لينة القوام حتى انه لايدرى ألين قوامنا هـذا من لين ضلوعها أم هى بغير ضلوع حتى انها لتتألم من طلوع العتبة وكل هذا من لوازم الجمال عندنا

واليكم ياأصدقائى قصيدة أخرى : —

ياليالى الوصل مرة   الهجر دوقنى مرة

***

بين أراك وبين بانا   بين خزاما وبين لبانا
در كؤوسك دى اللبانا   قول أبينا النوم وبانا
أنت روضة وأنت جنة   أنت مصباح الدجنة
امتى امتى يتم أجلنـا   نسكنك ينفك شجنا
الغزال الديس حدرو   والضلالة ـ ان هل بدرو
الشلوخ فى فؤادى أدروا   كل واحد جرحو قدرو
جل من   صور صباك   وألزمك   دايما خباك

يالمنعـة في سبـاك بالعفاف والدين حباك
قلبي مأســور في رباك بين رماحك وبين ظبـاك
ماأظن التي غبـاك أرحميني على باكي
الجمـال خيم حمـاك والخيـال مابخس حماك
مابس — الضو في سماك المعاني مجماك
انت روحي وانت راحي انت مغـداي ومراحي
يستحيـل منك براحي فيك شعري واقتراحي

فماذا تقولون هذه أترون فيها شيئا مضراً بالآداب أترون فيها غير تشوق الى أيام ماضية وتودد الى حبيب نحن لانرى فيهـا شيئاً غير أن صاحبها يقول: —

انت ياأيامي السالفة ياأيام الوصال لقد ذهبت عني فذهبت أفراحي فعودي الي ياأيامي ولتكن كما كنا بين أشجار البـان والاراك والخزام، لقد كنت ياأيامي كالروضة الزاهرة والجنة اليانعة كنت كالمصباح في الظلام

فهل انت راجعة عائدة فترجع الي مسراتي وأفراحي أذكرك ياأيامي السالفة، واذكر حبيبتي (وشلوخها) التي لها أثر في فؤاي

جل من أنشاك أيتها الحبيبة الهاجرة وجملك مثالا للعفاف والطهر والجمال

انت ممنعة لايستطيع الخيال أن يصل اليك وهذه بلابل أفكاري يا شبيهة المها شادية بين غصون آمالي نائحة باكية حياتي الذاهبـة فرحماك ياروحي وراحي.

(انت مغداى ومراحى)

لأحول عنك بسلوان ولا بدل وانت التى توحين الى الشعر وفيك

انشده هذا كل مافى القصيدة من معنى فهل عليه بأس وهل ترون فيه روحا شريرة

نحن لا نرى فيها شيئا غير انه غزل رقيق كما يقول الأدباء اذا أنشدوا قصيدة من قصائد عمر بن أبى ربيعة مثلا كقصيدته التى مطلعها

أمن آل نعم انت غاد فمبكر　　غداة غد ام رائح فمهجر

والتى يقول فيها : —

وأبت أناجى النفس أين خباؤها　　وكيف لما آتى من الامر مصدر

فدل عليها القلب ريا عرفتها　　لها وهوى النفس الذى كاد يظهر

فلما فقدت الصوت منهم واطفئت　　مصابيح شبت بالعشى وأنور

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه　　وروح رعيان ونوم سمر

وخفضت من الصوت اقبلت مشية

الحباب وشخصى خيفة القوم ازور

إلى ان قال

فقلت لها قد قادنى الشوق والهوى　　اليك وما عين من الناس تنظر

فقالت : وقد لانت وأفرخ روعها　　كلاك بحفظ ربك المتكبر

ومنها

فبت قرير العين أعطيت حاجتى　　اقبل فاها فى الخلاء فأكثر

وتدنو بمينيها الى كأنما　　الى ربرب وسط الخميلة جؤذر

ومنها

يقوم فيمشى بيننــا متنــكراً   فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فــكان مجنى دون من كنت اتقى   ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

اخترت هذه الابيات من هذه القصيــدة الطويلة وأكثر مافى القصيدة هو من هذا النوع

ومن ينعم النظر فى ديوان عمر بن أبى ربيعة ويتبعه قصيدة قصيدة لا يراه أكثر من متهتك ولا هو أكثر من مستهتر خليع

فاذا قرأنا له قصيدة من قصائده كقصيدته الجيمية التى يقول فى مطلعها

نعق الغراب ببــين ذات الدّملج   ليت الغراب ببينهــا لم يزعج

وهى قصيدة طويلة تجدها في ديوانه

أو قصيدته الدالية التى مطلعها

وناهدة الثديين قلت لها اتكى   على الرمل فى ديمومة لم توسد
فقالت على اسم الله أمرك طاعة

فــكان ماأراد أن يكون كما هو ظاهر فى القصيــدة فمن قرأ هذه القصائد وغيرها من ديوان عمر بن أبى ربيعة بغير المنظار الذى يجسم الماضى فانه لايرى ابن أبى ربيعــة الا رجلا كل مايصبو اليه هو أن يتودد الى غانية أو يملك قلب امرأة ، يرى رجلا مجرما يسطو على أعراض الناس (مع مكانته السامية) نقول هذا ونحن نحترمه ونقدسه جداً اذا نظرنا الى ديوانه من حيث الصناعة الشعرية

وقد نجد له من الحسنات مانصفق له ولكن سرعان ماننسى تلك الحسنات عند مانقرأ هاتيك القصائد التى نرى وجودها كشعر ممايذهب كثيراً بجمال الروح الشعرية المقدسة ومما يجعل الشعر كهزلة أو شئ مخلوق للتلهى أو لاصطياد أغراض مختلفة لا تتفق مع كرامة الشعر

* * *

فالغنا الذى نسمعه فى هذه الأيام لم تكن فيه هذه الروح التى نجدها فى قصائد عمر ابن أبى ربيعة وغيره من الشعراء

وعندى أن كل ما فى الغنا من عيب هو اتصاله بالرقص ومراسح الرقص هى احدى العقبات التى تمنع المرأة عن النهوض فاذا انقطعت تلك الصلة فقد يصبح الغنا فنا قائما بنفسه يمكن استغلاله من غير أن يكون هنالك عيب أو عار وقد تكون له فائدة لا يستهان بها اذا تهذب قليلا فى قواعده وكان له له مسرح غير مسارح الاعراس

(الرقص)

هذا ما أراه وأنا أعتقد أن نظراتى هذه قد تخالف نظرات بعض اخوانى ، فاختلاف الفكرتين يولد فكرة مفيدة

مقدمة

كتابنا الحصاد

(الحصاد كتاب الفناه فى نقد ديوان شعراء السودان به مقالات انتقادية فى مواضع مختلفة سنقدمه للطبع قريبا بمشيئة الله تعالى)

... والفضاء الواقع بين حجاب الماضى وستر المستقبل هو الفضاء الذى نعيش فيه وهو فسيح الارجاء مترامى الأطراف كاف وزيادة لان نقضى فيه أيام الحياة كلها

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

أجل : لك الساعة التى أنت فيها وهى الساعة الوجيزة التى تبتدىء بابتداء الحياة وتنتهى بانتهائها

فدع الماضى ولا تتقيد بقيوده ولا تقف حائرا أمام تقاليده وأوهامه ولقد ذهب الماضى ورقد أبناؤه بين أحضان الابدية وتركوا ما تركوا من أثر خالد وذكرى باقيه ، فرحم الله أولئك الاباء لقد قاموا بواجبهم واشتغلوا بحاضرهم غير ملتفتين الى ما مضى ودع المستقبل لرجال المستقبل لانا لا نعلم كيف تكون الحياة اذ ذاك وكفى ان نترك لهم التاريخ فان وجدوا فى اعمالنا ما يلائم أوقاتهم فليعملوا مثله والا فلهم ان يختاروا الخطة التى يسيرون عليها فى حياتهم

وليس المستقبل حق من حقوقنا حتى نقدم نحوه بجراءة فنضع لابنائه القوانين التى يتبعونها فى حياتهم التى نجهلها تمام الجهل ، فاذا فعلنا ذلك كنا سخرية الجيل الآتى واضحوكة أبناء المستقبل

فمن الذى يعيش فى هذا الميدان المنحصر بين الماضى والمستقبل ومن الذى يعمل فيه اذا قضينا أيام حياتنا بين لفتات الى الماضى ونظرات الى المستقبل ؟ ؟

ونحن مسئولين عن هذه الساعة التى نقضيها فى هذه الحياة، فيجب

علينا ان نعمل جهد المستطاع علنا نقول : —

لسنا وان احسابنا كرمت ... يوما علي الآباء نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا ... تبنى ونفعل مثل مافعلوا

نهضتنا الادبية

أن النهضة الادبية فى بلادنا كلها اطلال دراسة ودمن لعبت بها ايدى البلى ، واقفة موقف الهدوء والجمود لاترى فيها حراكا فان رأيتها تخطو فخطواتها للوراء راجعه القهقرى فهى اقرب الى الموت منها الى الحياة ، هى الان فى حاجة الى يد تجيد الهدم وتحسن البناء الى يد تحطم الاطلال تحطيما وتدك الدمن البالية دكا . . . نعم : اذا نظر الانسان نظرة سطحية رأى انتعاشا فى النهضة الادبية وكان دليله تلك الكتب التى ظهرت فى عالم الادب منذ سنة تقريبا ، لقد ظهرت هذه الكتب (بكل جراءة) ولكنها لم تكن خطوة تفيد الادب بل هى دليل على الشجاعة المشوهة هى سم فى دسم . . .

أعيذها نظرات منك صادقة ... ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فالى إخوانى أدباء السودان أرفع باحترام واجلال ما أكتبه فان صادف قبولا فهو ماأريد ، وان لم يجد قبولا (فالخير اردت) ولكل منا رأيه ، وان افترقنا فلنفترق بسلام كما التقينا بسلام وسوف نجتمع بسلام لان الغاية التى نسعى وراءها واحدة ، ونحن علم الله لانريد ان نسىء الى أحد...... ..

وما أنا بالداعى لعزة

فان هفوت هفوة فالعفو والمغفرة يقولون فى المثل : لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة وان عثر قلمى عثرة فقلبي ملؤه الاخلاص

***

نحن الآن لا نريد أن نتكلم فى هذه المقدمة على النقد وفوائده بل نلفت نظر اخواننا الى ما كتبه الاستاذ رئيس تحرير الحضارة بالعدد ٣٦١ عقب محاضرة القيناها بنادى خريجى المدارس عن الشعر والشعراء فى السودان فأعطى الموضع حقه

وإنى أقول لأصدقائنا الادباء ، بما أنى سودانى مقيد بالتقاليد السودانية فسأبتعد على الرغم منى عن نقد بعض شعرائنا بحكم طقوسنا التى كثيراً ماتحول بيننا وبين كثير من الفوائد الاجتماعية ، والتى توقف الصغير أمام الكبير موقف الذل والمسكنة والاحتقار والتى تجعل الانسان منا محترما لسنه وماله ، والتى منعت شعرائنا من ارسال أشعارهم الى توفيق احمد حينما كان طالباً بالكلية ، وتوفيق احمد هو صاحب هذه الفكرة (أدباء السودان) قد بذل كل مايستطيع وفوق مايستطيع ليتحصل على شعر أدبائنا فلم يفلح وقد كتب مراراً بجريدة الحضارة يطلب من شعرائنا أشعارهم فلم يجد مجيباً ولا مشجعا منهم ..

ثم قام سعد افندى ميخائيل المستخدم ووكيل بوسته وتلغراف وطلب من شعرائنا ماطلبه توفيق فبادر أدباؤنا بارسال مختاراتهم اليه

فظهر ديوان شعراء السودان كما نراه مهزلة فى مرسح الأدب ...

ونحن نعتقد تماما ان هذا الديوان اذا تولى جمعه توفيق احمد لظهر بمظهر حسن وكان خدمة يستفيد منها الادباء ، ولكن ويالاسف لقد ذهب مجهود توفيق ضحية الاوهام ـ وكلنا يعرف من هو توفيق ؟

هو ذاك الروح العالية والنفس الطموحة الوثابة هو مثال الاخلاص هو القائل : —

لئن عشت حققت الذى قدرجوته بعزم أبيٍّ يأنف الذل جانبه
وان حان حينى دون ماقدعشقته فرب كريم لم تتم رغائبه
وياوطنى لازلت أول غاية يقدسها قاب جسام ماربه

ديوان شعراء السودان

فى السنة الماضية وأوائل سنة ١٩٢٤ أبرز لنا سعد ميخائيل مجلدا ضخما حافلا بشعر شعرائنا أخرج لنا ديوان شعراء السودان فكان مملوءاً بالشعر والشعراء ولكن اذا أراد سعد أن يخدم الادب لما استطاع أن يجمع كتابا يسميه شعراء السودان

سعد ولا بأس عليه كان يسعى وراء المنفعة الشخصية التى تعود عليه من وراء طبع هذا الكتاب

نحن الآن لانريد أن نتصدى لنقد ما كتبه سعد لاننا لانرى هناك شيئا يدعونا للبحث معه أو تقف لنحاسبه غير أنا نقول له :

لقد أساء الى (الأدب) من حيث أراد أن يحسن اليه قرأنا ديوان

شعراء السودان ؛ وما من ترجمة الا وكان صاحبها شاعرا مجيداً ، شاعراً يعد من فحول الشعراء وما شاكل ذلك من كلمات المدح والاطراء فشعراؤنا فى الجزء الاول والحمد لله كلهم شعراء نضجت شاعريتهم فاد أطال الله فى عمر المؤلف وأخرج لنا الجزء الثانى والثالث الخ

من ديوان شعراء السودان أرانا شعراءنا كما يريد .

وأسمعنا قوله

قالوا تعشقت في سوداننا أدبا ... ألفت منه كتابا ذا أفانين

أريتنا فيه أبناء نسر بهم ... قد فاق قولهم زهر البساتين

ما قرأت ترجمة شاعر من شعرائنا . لا وتذكرت اعلانات الحوانيت (جرب مرة تصبح من عشاقه) فاذا جربت فانك لا تجد شيئا غير ما تستطيع أن تسخط به على صاحبه

أما شعراؤنا شعراء سعد أفندى ميخائيل الذين أراد سعد أن يشجعهم بطبع أشعارهم فنحن لا ننكر أن منهم قليلا من الشعراء والكثير من القليل قد تسلط عليه الوهم وملك زمامه الغرور ، فخطا خطوته الاولى ثم وقف مكانه ثابتا لا يتحرك ولا يتزحزح يحمل بين جنبيه قلبا مملوءا التيه والكبرياء اللذين أولدتهما الشهرة الكاذبة ، لقد نظم بعضهم قصائد فى المديح أيام كان من عرف الكتابة والقراءة منا عد من العلماء وأيام لو سئل الشاعر نفسه عن الشعر لقال هو المديح ، ونال لقب شاعر وشهرة شاعر ونحن نقول له كما قال الاستاذ كامل كيلانى

« ماقيمة الشهرة ؟ أليت أبواقها قاصرة على الجماهير وهل للجماهير

رأى فى البـلاغة . وليست للشهرة قيمة حقيقية اذا لم يكن صاحبها جديراً بها»

ثم انتقل بعضهم من باب المديح الى غيره من أبواب الشعر ، وقال الناس ذاك الشاعر وهذا الشاعر الاديب فنظم القصيدةوالقصائد ،وأهم مايراعيه فى قصائده أن يقول الفاظا منظومة غير ملتفت الى غير ذلك سواء أ كان فى القصيدة معنى أو لم يكن مادامت هناك نغمة موسيقية توقعها وتتغنى بها فئات ساذجة ، وقد لانلومهم كثيرا لانهم لم يسمعوا منذ نشأتهم الاولى غير الفاظ المدح والثناء التى تمر على آذانهم كصوت الموسيق ، شعراؤنا قد شربوا من كاسات المدح ماخدرهم أو كاد ..

فاذا اعتقـد شعراؤنا انهم سيحاسبون يوما ما لما ظهر في ميدان الشعر غير شاعر عرف ان الشعر هو كما يقول الاستاذ العقاد :—

الشعر هو صناعة توليـد العواطف بواسطة الـكلام أو كما يقول جبران : —

الشعر هو روح مقدسة مجسمة بين ابتسامة تحيي القلب أو تنهدة تسترق من العين مدامعها أشباح مسكنها النفس وغذاؤها القلب ومشربها الشعر أو كما يقول صديقنا الجليل زهير (شفيق افندى فهمى مينا)

والشعر وحى النفس لست بقائل   تنميق الفاظ وشحـــذ قرائح

***

نحن لانريد أن نتعدى على شاعر من شعرائنا فنغمط حقه ولاهناك عامل يدعونا لاعطائه مالا يستحق وانما الغاية الوحيدة التى نسعى وراءها

هى الفائدة التى تعـود عـلى حياة الادب فى بلادنا وان كان فى سبيلها تحطيم شهرة (او مس كرامة) او سقوط هيبة ، ونحن لانتردد هنيهة فى هدم اى بناية ان رأينا هدمها صالحا لنهضتنا الادبية

نحن والتقليد

حقا ان شعراءنا وادباءنا لم يصلوا بعد الى درجـة الابتكار بل هم الا ن فى دور التقليد

فاذا كان التقليد واجبا من واجبات الحياة ولازما من لوازم النشوء والارتقاء ، فيجب علينا ان نقـلد رجال النهضة الادبيـة العصرية وان نقتفى اثر الادب العصرى نحن فى حاجة الى كاتب (مقلد) يقلد الاستاذ العقاد فى فصوله ومطالعاته لا عبـد الحميد الـكاتب ، فى حاجة الى نقاد يقلد الدكتور طه حسين فى حديثه (لا ابن رشيق) فى حاجة الى أديب يقلد الاستاذ كامل كيلانى فى نظراته هذا وان كان لابد من التقليد ، فلنقلد هؤلاء وماشا كلهم من رجال النهضة الادبية العصرية ؟

الذئاب

ذاك الوادى حسن المرعى كثير الاعشاب متوفرة فيـه المياه قد اتخذه رجل مرعى لغنمه من طلوع الشمس حتى اذا غربت رحل بغنمه الى منزله

وفي يوم من الايام اظلم عليه الليل وهو بالوادي فهجم الذئب على غنمه فشتت جمعها وصار الذئب يعوى الى ان اجتمعت عليه كتيبة من الذئاب ، فصوب الرجل بندقيته علي واحد منها فاصابه فعوى الذئب المضروب عواء ارتج له الوادي وفر هاربا من بين أخوانه، فجرت الذئاب وراءه فلحقته . وبعد قليل لم ير الذئب المصاب الا اجزاء متفرقة بين أنياب أخوانه

وهكذا بعض الناس يجتمعون لاقل نداء فاذا وجدوا به مغنما سدوا به رمقا سكتوا بجانبه على اى حال كان والا افترسوا بعضهم بعضا ومزقوا اشلاء افرادهم

مذكرات محب

الى سعاد ...

سعاد هي تلك الفتاة الجميلة ، هي التي

عرفت هواها قبل ان أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

أين سعاد ؟

هي لم تكن محتجة عني بما وراء الحياة ولا حال بيني وبينها الموت هي على قيد الحياة ومزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال :

خبروها انني مضنى بها قد ألفت السهد حاربت الرقاد
اسهر الليل اناجي طيفها وفراشي النار أو شوك القتاد
ان تسل عني الدراري علمت حال صبٍّ شفه طول البعاد

فصــلى صبًّا محبـاً دنِفـاً　　هو من هجرك قد جن سعاد

توطئة

لمحاضرة القيناها بنــادي خريجي المدارس

سادتي اخواني

هــذه أول مرة اقف فيها هــذا الموقف ، فاعذروني ان رأيتم مني اضطرابا ، واني ارى هناك عاملا يشجعني كثيرا على هذا الموقف الا وهو حضوركم لسماع محاضرة من رجل بسيط مثلي وان كان هذا في الحقيقة ادعى الا اضطرب خصوصا عند ما اتذكر ان محاضرة اليوم غريبة في بابها او هي اول محاضرة في هذا الموضوع

واني اجلكم كثيرا من ان تـكونوا ممن يعتقد ان النقد يولد خمولا وكسلا في نفوس الاشخاص ، بل اعتقد تماما أنـكم اعلم بما وراء النقد من فائدة وهو رائد الاخلاص لامسبب العداء ولذا لااريد ان اتكلم على فوائده اذا انتم اعرف بها مني

سادتي

بعد ان اتممت كتابة هذه المحاضرة تكلمت مع احد اصدقائي في خصوصها فحبذ الفكرة اولا غير انه اشار برأي لاباس به ، فكان من رأيه ان تـكون المحاضرات في شعر اخواننا الموجودين الآن هنا

قد استحسنت هذا الرأي كثيرا ولـكن كم انا آسف لان الوقت كان ضيقا لايسع تحضير محاضرة اخرى ولذا قد أخرت نقد بعض قصائد

من شعر الشعراء الذين سأتكلم عن بعض شعرهم اليوم الى فرصة اخرى عسى ان يجمعنا الله بهم هنا ، مراعيا فى كلامى الايجاز ما استطعت مبتعدا عن التطرف

اخوانى

الكثير منكم يريد ان يسألنى عن العامل الذى دعانى لعمل هذه المحاضرة ، وربما يكون بينكم من يريد ان يقول لى (انت مالك ومال كده؟ ؟ (يعنى المحاضرة) واخر يقول ما لكش حق !!

فانا اجيب الاول باحترام واجلال

دعانى الى ذلك حبي للادب واظهار الحقيقة التى تراءة لى والقيام بالواجب

فهذا سؤال حسن جميل لا بأس به

واقول للثانى والآخر

هذا حق من حقوقنا يجب ان لا نهمل فيه فان تنزلتما عن حقكما فانا لا انزل عن حق ابدا ولا تطلبا منى ان اتنازل بعد

أما قولهما مالى ومال كدا ومليش حق

فالاتفاق ليس لهما حق فى مثل هذه الجمل ونحن جميعا لو نظرنا بعين مجردة عن كل شيء لعلمنا ان مثل هذه الجمل سلاح يمكن ان تقتل به اى روح

ولذا فانى ارى . ليس من الصواب او الحكمة استعمالها لتصادم اى رأى ، فالانسان حر فى رأيه وليست الآراء محتكرة لطبقة مخصوصه او فئة مخصوصة كما انه ليس من حق المنتقد ان يتبرم ويتضجر أو يمنع الناقد السير فى عمله لانه لم يتسلق حائطة ولم يهجم على اوراقه المكردسة

بين كتبه داخل غرفته ولـكنه وجـدها معروضه ضمن معروضـات كثيرة (على عينك ياتاجر)

فعلى الناقد ان يظهر الزائف من الصحيح من تلك الاشياء وعلى المنتقد ان يبرهن على دعواه من غير ان تقع هناك واقعة دموية اوثورة تشوه الادب والآداب

* * *

الآن انا امتلك اوراقا كثيرة مكتوبة فيها خطراتى التى لم انشرها وهى الآن محتكرة لى خاص فلا يستطيع احد ان يأخذهاولـكن للص وحده ان يأخذها ويتغنى بها مثلى داخل غرفته غير انه لايستطيع ان ينشرها منتقدا ومروجا لها لئلايعاقب على اختلاسه

اما عندما انشر تلك الخطرات ويجدها احد بمكتبة شحاته او غيره فيصبح نصيبي فيها كنصيب كل قارئ فلهان يقول رأيه فيها كما ارادوشاء.

أيها الظبى

أيها الظبي ترفق　　واتق الله تعالى
صار جسمي ناحلا　　وغرامي قد تعالى
ان تزدنى من صدود　　فلى الله تعـــالى

المجنون......

اذا كانت الساعة السابعه صباحا وقف يطل من كوته ينظر الى

جمال الطبيعة الفتان

هو ذاك المجنون الذى اراه فى طريقى واناذاهب الى اداء عملى صباحا

هو يطل من كوته وفى نظراته المستديمة المتحركة ترى اشعة منبعثة من تلك العيون المحدثة عن مخبآت صدره الطاهر ما تسكنه سريرته من المبادىء والاميال التى تختلف عن مبادىء الناس وأميالهم

هو يقف هناك ولا ادرى لماذا يقف ؟

علّه مل محادثة الجدران ومسامرة الخيالات

لايزال يسير على منواله الغريب المخالف لانظمة البشر التى يراها امامه وهم لايعذرونه لانه محدقا بكل شيء مر على بصره ضاحكا مستهزئا وان وجدوا له عذرا قالوا :— مجنون مجنون ! !

أنا اعذره كثيرا وأشفق عليه جدا لانه يقف بعوامل لايعرفها الا هو ولا يحس بها غيره لانه يسمع كل ما يقوله الناس عنه وهو لايعبأ بما يقولون بل يظل سائرا على الطريق الذى يوافق امياله واعمل تلك الابتسامة التى يبتسمها امام اللاشىء هى ابتسامة السخرية على طقوس البشر وتقاليدهم العمياء ووقوفهم حائرين ام رغبات النفس واميالها

هو يقف فى كوته ويتناول ذؤابته المرسلة ويحدق فيها حينا منصرفا عن كل مايمر به كأن بين طياتها سرا من الاسرار يفتش عنه ، علّه يبحث فى سوادها وغصونها الكثيرة التى اشبه بترهات الحياة علّه يقيس هذا بذاك ويجد فيه تسليه لنفسه الكئيبة المقلوبة الثائرة الهادئة

حدثتنى نفسى بان اقف مع هذا الرجل المجنون ، فوقف وسلمت

عليه فرد التحية باحسن منها ثم قلت له مالي اراك واقفا في هذا المكان لاتتحرك منه اراك كل يوم وانت بحالة واحده ، فابتسم ابتسامة ما استطعت ان ادرك كنهها وقال بصوت خافت : —

اقف هنا ولا أرى أمامى غير اطلال باليه واشباح متحركة اقف هنا لاضحك ولكنى غير شامت »

قف معى ان اردت وانا لاأطلب منك الضحك ولا البكاء ويسرنى انارك ضاحكا مثلى

حقا انت لاتستطيع ان تقف موقفى وأنا وانت على طرفى نقيض فى هذا الموقف انت تقطب مابين عينيك وانا ابتسم ابتسامات متوالية فاذهب الى حيث المناظر التى تراها جميلة

دعنى واقفا وحدى فما ألذ الوحده وماأحلى الانفرادفىهذا المكان، فقلت له أمجنون انت ؟

فقال مجنون ؟ !

انا مجنون نعم انا مجنون — يقولون فى الساطير الاولين ان رئيس قرية رأى فى نومه ان من شرب من ماء البئر غدا اصيب بالجنون فما طلعت شمس الغد الا وتهافت الناس على البئر فشربوا فجنت القرية الا رئيسها وبعدقليل رأوا ان حركات الرئيس لم تكن كحركاتهم، ولا نظراته كنظراتهم فتجمهرت تلك القريه المجنون امام داره وقالوا لقد جن الرئيس فليسقط —

ثم التفت فجأة ولم يعد ينظر الى فودعته بسلام .

مقبرة الارواح

ان الاديب الحر حرب زمانه !! بعـد تـأوه وتوجـع
خلـق الزمان عداوة الاحرار !! بعـد تنفس عميـق
لنـا عـلم وللجهـال مـال !! بعد ابتسامة واشارة بالرأس

* * *

لحا الله ذى[1] الدنيا مناخا لراكب فـكل بعيـد الهم فيها معذب
بعد انة طويلة ونظرة تشف عن الحزن والألم
(هذه محادثة سمعتها من صديقين كنت واقفاً بجانبهما)

ثم سكتا طويلا ووقفا هادئين خاشعين كلاهما يرسل الى صاحبه نظرة ما استطعت ان اعرف ما وراءها او ادرك كنهها ، فهمس احـدهما فى اذن صاحبه ، وانصرف من امامى ومشيا كالسكينة فى الاطلال ذهبا الى حيث لا أعلم

مضت على هذه ايام مانسيت فيها موقف الصديقين البائسين

حتى امس قابلتهما واقفين فى مكانهما الاول فدنوت منهما لاسمع ذاك اللحن الشجن المحزن لأكتشف سرا من اسرار حياة الصديقين ، ولـكن اتدرى ماذا سمعت وماذا رأيت ايها القارىء الـكريم سمعت !!

لو مسها حجر مسته سراء !! بصوت مضطرب
فما الذ شرابا حمراء من كف بكر !! بعـد ان اتـكأ على صاحبـه

---

(١) نشرت بجريدة الحضارة

فبت أرى الكواكب دانيات　　ينلن انامل الرجل القصير

وبعد قهقهة شديدة مستمرة

وما العيش الا ان تروح مع الصبا　　وتغدو صريع الكاس والاعين النجل

بعد حركة تدل على عدم الاهتمام

ثم ذهبا ، فاصبحا فى نظرى صورة (طبق الاصل) من صور الشياطين التى اتخليها - فبقيت مكانى حائرا وزيادة اسائل نفسى اين ذهبت تلك الروح الوديعة ؟ نعم . هى قبرت فى ميدان الواقعة الزجاجية حيث الكاس والطاس فى قراع ونزاع

هى دفنت هناك مع ارواح كثيرة وعقول كثيرة مرتدية ثيابا سوداء حاكتها الابالسة في ظلام الليل ووحشته

هى سقطت هناك فى هوة الكحول وفقدت حياتها الادبية فى مرسح الملاذ واللهو.

مقبرة الضمير (١)

الضمير صديق صدوق يأوى اليه الانسان ، ومن الناس من يتخذه بضاعة يبيعه لمن يشاء باسعار متهاودة ! ! . (. . . . .)

صاح هذى قبورنا تملأ الرحب :

فاين المقبرة الهائلة التى يسكن الضمير فى اعماقها جثة هامدة والتى

(١) نشرت بجريدة الحضارة

يقبر فى احشائها الضمير ؟ ؟

اى قبر يضم عظمته وأى لحد يحجب سناه ؟

هو جسم كبير لا يسعه الفضاء ولا تواريه الارض وأى نقاب كثيف يحجب ضوأه الساطع ؟ !

هو جسم عظيم لا يجد مقبرة تسعه الا النفوس

النفوس : التى ترتدى الوانا اكثر من ألوان الحرباء والتى تسير فى مواكب الموت بعواطف اهل الفقيد ، والتى لا تعرف من الكلام غير (لا) اذا سمعت (لا) أو (نعم) ضربت على وتيرتها ! !

فى مثل هذه النفوس يموت الضمير ويقبر ، وقد تستعمل رفاته طعاما فى ساعة الجوع وماء باردا فى وقت الظمأ (وشربانا) فى الصيف .

ليتنى كنت من الشعراء لاسكب ذوب شعورى على هذه المقبرة لاقف عليها راثيا بقصيدة تكون عزاء ، قصيدة تهتز لسماعها العظام البالية فى هذه المقبرة وتكون انشودة الضمائر التى لم تمت بعد

ليتنى كنت اجيد البكاء والنواح لابكى على تلك النفوس التى اكلت ضمائرها واستراحت ! !

لانوح عليها وعلى حياتها الضائعة . . .

لك الرحمة ايها الضمير الساقط فى هوة الموت السحيقة قبل ان تتم ابتسامتك امام الحياة فاصبحت كالزهرة التى سقطت من فرعها قبل ان تتم ابتسامتها امام اشعة الشمس

فهذه قتيلة الرياح وانت قتيل النفوس الآثمة .

ذكرى الامين

هذه صفحات الأمين وخواطره . كتبها ونشر بعضها على الناس مجاهراً بما يعتقده حقاً يجب أن يتنزل الناس إلى الأخذ به ، متى اقتنعوا بصحته وآمنوا بطرافته . كتبها عن إيمان راسخ وعقيدة ثابتة لا يشوبها الشك عما تعتقد به . أو تدفعها رياح الرغبات صوب غاية معينة من حطام هذه الحياة الزائل . بل كان يرى أن هنالك من عاداتنا وتقاليدنا ما يقف حجر عثرة في سبيل كل نهوض وانه لا سبيل إلى بث التعاليم النافعة فى نفس الشعب واعداده لكل جديد مفيد إلا اذا استئصلت هذه التقاليد الرثة التى لا تتمشى مع القرن العشرين والتى لا يمكن ان تسمح لشعب من الشعوب الضعيفة ان يخطو خطوات غير مزعزعة نحو ما يرجوه من تقدم وحياة . كان يرحمه الله من أنصار المدرسة الحديثة يرى الحكمة كل الحكمة فى أن تقرن إلى النبيل من عاداتنا والطريف منها ما فى غضون هذا الحديث اليانع من خير وكمال وان يتضافر شباب الأمة المثقف إلى القيام بواجبه نحو أمته وبلاده حسبما تقتضيه الظروف وتقوم به الهمم . فقديما كان الشباب عماد التضحية والنهوض . وقدما كان الداعى الى نبذ ما يتنافى مع العقل والعلم . وما يؤخر التقدم ويصادم رغبات الرقى . بل كان فوق هذا يدعو الى تحسين الغناء بالضم والباسه ثوبا غير الثوب الذى يظهر به . وان يمزج بالرقيق من المعانى المفيدة القريبة الفهم حتى يتيسر على الفتاة وعلى العامى الساذج ان يفهم

معانيه . ويتصورها ويستشعر بما فيها من غاية ترمى الى تحبيذ مكرمة وتقبيح رذيلة . وان يكون للسواد العام صوتا يسمعون فيه تراتيل الرشد والحكمة والحماس فى كاس معسولةالشراب فاذا استطاع المغنون ان يوحدوا جهودهم وان يخطوا بأغانيهم نحو غاية معينة.واستطاع الشعراء ورجالات الأدب ان يصوروا ويحللوا ويستمدوا معانيهم من كل ما هو سودانى محض ، فهنالك يكون لنا أدب قومى صرف غير مشوب بشوائب التقليد بل هو منتزع من حياتنا الخاصة وما فى بلادنا من عوامل ، ومناظر ، وحياة توحى الى الشعراء والأدباء ما أوحته فرنسا الى رسو وانجلترا الى شكسبير وايطاليا الى دانتى والمانيا الى جوت والاندلس الى ابن زيدون . وهنالك تتحول الجهود كلها الى أن تكون لنا قومية سودانية وأدب سودانى قائم بنفسه غير مأخوذ من غيره بل هو وليد الحاجة الماسة . ويكون له من أسلوبه الخاص مميز يظهر به كما لكل أدب من آداب الامم الأخرى شكل يوضحه عن غيره . وتدفع الهمة رجال الفن ان يصوروا رغبات الشعب وخلاجات نفسه ، وكوامن عواطفه . بلغة حية تستمد معينها من القلب وتتلمس وصفها مما ترى وتحس . وترفع صوتها بما تشعر . فيستمع لها الناس واجمين مستحسنين لانهم انما يسمعون خواطر أفئدتهم وخفقان قلوبهم . ويرون وصف (العتمور) وغابات الجنوب وشعاب الجبال وغيرها . فاذا شاء القدر ان يكون كذلك فقد آن لنا ان نتفهم لذة الوجود وننظر كشعب الى جمال الحياة .

فحيا الله اخوان الأمين . فقد احتفظوا بذكراه وأوفوا بعهد
ورحمة الله رحمة واسعة فقد كان خير الشباب وزين الشباب

ان كنت فارقت الشباب فانما   عوضت عنه جنة وحريرا
أو كنت غصنا طوحته يد البلى   فهناك تلقى نضرة وسرورا

القاهره   توفيق احمد

المحتويات

صفحة

الخطأ والصواب

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
٥	١١	لالناس	الناس	٣٩	١٤	للجر	للجرح
٩	١٩	ظالما	ظالم	٤٠	٦	ماؤه	ملؤه
٩	٢	دعواها	دعوها	٤٦	٦	جبها	جبينها
١٣	٣	تذور	تذروه	٤٩	١	صبايا	صبابا
١٦	٧	ونجه	دنجه	٤٩	٥	أزر	أثر
٢٣	٨	لذنياك	لدنياك	٥٠	١	عن	غنى
٢٦	٣	ونفس	ونفسى	٥٠	١	القرى	القمرى
٢٧	٦	كثيهة	كثيبة	٥٢	٧	الشنا	الثناء
٣٢	٤	يتشبثك	بتشبثك	٥٦	١٥	السيمه	السيميه
٣٧	١٣	ومموعك	دموعك	٦٢	٤	الماسطه	الماشطاه
٣٩	٦	باربه	بربه	٦٤	١١	المسى	المشى